لعنة هيلاس

اسم الكتاب: **لعنة هيلاس**

اسم المؤلف: **هاجر قطب الوافي**

تدقيق لغوي: **زينب أحمد**

تصميم الغلاف: **محمد دربالة**

تنسيق داخلي: **مينا تادرس**

رقم الإيداع: **٢٠٢١/٢٣٤٤**

الترقيم الدولي: **٩٧٨٩٧٧٨٤٤١٣٠٥**

جميع الحقوق محفوظة للناشر©

أى اقتباس أو تقليد أو إعادة طبع أو نشر دون موافقة كتابية يعرض صاحبه للمسائلة القانونية والآراء والمادة الواردة.
وحقوق الملكية الفكرية بالكتاب خاصة بالكاتب فقط لا غير.

إبهار
للنشر و التوزيع

Email: ebharpuplishing@gmail.com

تليفون: ٠١٠٦٠٢٦٧٤٠١

هاجر قطب الواقي

لعنة هيلاس

إبهار
للنشر و التوزيع

إهــداء

إلى كل من راوده اليأس يوميًا فخال نفسه ضعيفا ووارآه خذلان الأحبة فالتهمة الخوف حتى صار قلبه منكوب؛ رفقًا بتلك النفس وعد بالذاكرة يوم إن أبكاك الجميع ولم يواسيك سواها حين قالت لك؛ لا بأس عليك أنت بخير!!، وحين قذفوك بكلماتهم المسمومة فهمست لك قائلة؛ لا تلقي لهم بالًا!!، وعندما حاولت التحليق في سماء أحلامك فحطموا جناحيك فطمأنتك بقولها؛ داوي جراحك وحاول من جديد ولا تيأس، وعندما ذكروك بسقطاتك بألسنة حداد فجالت على وجهك لتزينه ببسمة ساخرة وهي تقول لك؛ وكيف لمن لم يذق ألم السقوط بأن يقدر لذة الوصول، فدعك اليوم عنهم وانتشل نفسك من براثن اليأس وكن متكأً لنفسك ثم واصل المسير.

غادر الصيف معلنًا نهاية مهمته ومسلمًا الراية للخريف لتبدأ رياحه الهوجاء مناطحة أوراق الأشجار المتشبثة بالأغصان فتحصد أعناقها لتهبط بتمايل علي الأرض، ومصدرة عواء خفيف يمتزج مع حفيف الأوراق المتناثرة ويتخللهما صمت قاتل فتحدث رهبة تهتز لها الأبدان، فتغلق النوافذ ويسرع المارة إلى منازلهم ولا يبقي بالطرقات سوي بعض القطط والكلاب الضالة التي تبحث عن مأوي يحميها من تلك الرمال التي تحملها الرياح فتلطم بجفونهم مشوشة الرؤية أمامهم فلا يصبح أمامهم سوى المواء والنباح وسيلة لبث شكواهم.

في إحدي نواحي القاهرة حيث المباني الشاهقة تناطح السحاب طلت الشمس من بينها بوجهها ذي البسمة الحانية ملوحة بأشعتها الدافئة لتودع إحدي بقاع الأرض وتطل على الأخرى في مشهد روحاني هادئ يبعث في النفس الكثير.

هبت نسمات هادئة تداعب وجوه المارة فهرولت الفتاتان ليصلا سريعًا إلى منزليهما قبل حلول الظلام وبعد دقائق عدة قضينها في الحديث

والثرثرة وصلت إحداهن إلى منزلها فأردفت الأخرى قائلة بتحذير: سأنتظرك غدًا.. لا تتأخري وإلا سأجربه وحدي

أجابت الثانية بتهديد مصطنع: إياك وفعلها

- سنرى!!!.... إلى اللقاء

ودعت رفيقتها ثم انطلقت مكملة السير لمنزلها

دفعت الباب برفق فوجدته مفتوحًا كعادته لتدلف إلى منزل مكون من طابقين، بمجرد دخولك للطابق السفلى تندفع رائحة البخور لتتراقص أمام جيوبك الأنفية حتى تتغلغلها فتجبرك على استنشاقها بتمتع وما إن تفتح عينيك بعد أن تفيق من سحر البخور حتى تقع على أساس خلاب من الطراز القديم، فعلى يدك اليمني تجد خزانة خشبية ذات لون عسلي وجوانب زجاجية شفافة لتغري من يراها بما تحويه من كتب متراصة فوق بعضها البعض، وبالجانب المقابل لها أريكة فضية اللون يميل عليها عكاز بني بيد ذهبية، ولن تستغرق وقتًا طويلًا حتى تتيقن أن هناك عجوز يتجاوز الستين من عمره يعيش بهذا المنزل، فها هو الجد يجلس على أريكته يشاهد إحدى القنوات الإخبارية مرتديًا عويناته ذات الأزرع السوداء التي تتخلل شعره الأبيض مستقرة خلف أذنيه فتفصل بين شيبة رأسه ولحيته التي تزيده وقارًا وهيبه.

تقدمت الفتاة نحو جدها بعد أن قامت برمي حقيبتها بطريقة فوضوية فبادرها الجد قائلًا بحنو: لم كل هذا التأخير حبيبتي!؟؟

ليليان وهي فتاة بالثانية والعشرين من عمرها بالفرقة الرابعة بكلية الآداب قسم التاريخ، تقيم مع جدها بإحدي نواحي القاهرة تاركة

والديها بالشرقية حيث مكان إقامتهم وقد سبق وأن رفض الجد الإقامة معهم بعد سفر ولده الصغير وزوجه، معللًا رفضه بأنه لا يستطيع ترك منزله الذي يحوي ذكريات ستين عامًا مضت بالإضافة إلى رفاقه وجيرانه بالحي: آسفة يا جدي لن أكررها.. ثم تابعت حديثها بعد أن ارتوت بقليل من الماء: ذهبت برفقة نادين لشراء شيء يخص اختراعها.

الجد عاقدًا حاجبيه: أنا لا أطمئن إلى رفيقتك تلك.

- لماذا؟! إنها طيبة القلب كما أنني أشفق عليها كثيرًا فهي وحيدة للغاية.

الجد ممسكًا بالريموت ليخفض صوت التلفاز: وهذا هو سبب عدم اطمئناني لها، ثم تابع متسائلًا: كيف تستطيع العيش وحدها؟؟ولم لا تذهب إلى أمها واخوتها وعلى حد علمي منك أن زوج أمها يحبها.... فما المانع!؟؟

- لا أدري ولكنها دائمًا ما تقول أنها لا تحب الفوضي والإزعاج، ومنزل أمها يعج بالناس، إن لم يكونوا أخوتها فزوار أمها أو زوجها

- لايهم، دعك منها واذهبي لتبديل ثيابك كي نتناول طعامنا.

ليليان وهي تنظر لجدها بمكر، مضيفة إلى وجهها إبتسامة قد رفعت الستار عن أسنان تشبه اللؤلؤ المتراص: وماذا بعد تناولنا الطعام!؟

الجد وقد علا صوت قهقهته: لا تحاولي فلست متفرغًا للحكايات اليوم... ثم أردف بعد أن خلع عويناته ووضعها على المنضدة الصغيرة أمامه: كما أن لدي ضيف الليلة

ليليان بحزن مصطنع: هذا ظلم، البارحة لم تكمل لي حكايتك في العراق ووعدتني أن تكملها اليوم.

- سأكملها لكي غدًا
- سنرى
- حسنًا أكملي دراستك اليوم ولكن بعد أن تعدي الضيافة للرجل
- ومن عساه يكون هذا الضيف الذي أفسد مخططات يومي
- يوسف ابن جارنا الشيخ محمود

ليليان بعدم تصديق: وهل عاد من ألمانيا!؟؟

الجد مؤشرًا بالوسطي والسبابة: منذ شهرين

- منذ شهرين!!!! غريب ولكني لم أره ولا مرة، كما أنك لم تذكر مجيئه أمامي!!
- ربما لم تأتي مناسبة لأخبرك ولكنني أقابله في المسجد دائمًا
- لم أره منذ عشرة أعوام!! لعله صار شابًا يافعًا الآن
- بالطبع فقد صار رجلًا يعتمد عليه، فهو طبيب ماهر، وقد حصل على الدكتوراة هناك أيضًا.

ليليان مازحه: ما شاء الله! يا لها من مواصفات مغرية.. ما رأيك أن تزوجني به حتى أظل بقربك دائمًا!؟

الجد ضاحكًا: يا لكي من ماكرة!! حتي تظلين بقربي أم لأنه طبيب؟؟

ليليان بنبرة ساخرة: أنت الخاسر، وعلى كل أنا لا أحب الأطباء ويستحيل أن أتزوج طبيبًا مهما حدث.

- وما مشكلتك معهم حتى تبغضينهم إلى هذا الحد!؟
- لا تعجبني حياتهم فهي عملية جدًا ويكون هذا على حساب زوجاتهم وأولادهم.

- إذا تودين الزواج من بطريق؟؟

ليليان وقد علا صوت ضحكها: أتزوج حفيدتك بطريق؟؟

- ولما لا طالما أن العمليين لا يعجبونها

ليليان متجهة إلى غرفتها: لن تفهمني يا جدي

استيقظ من نومه باكرًا ولم تكن تلك سوي عادة ربما اكتسبها من بلد أدرك أن الثانية الواحدة تصنع الفرق، فحمل فنجان القهوة خاصته واتجه إلى شرفة غرفته واستند بساعديه على ترابزين الشرفة، فهو لا يقوي على تجاهل الشمس عندما تشرق بوجهها الباسم لتخبرنا أنه مهما طال الغياب فلا بد من عودة، وها قد عدت لأنير طريق أحلامكم وأجفف دمع قلوبكم.

ولعله لم يكن الوحيد الذي يهوي التمتع بشروق الشمس فقد امتلئ المكان بألحان شجية سحرت أذنيه وجالت بعقله بعيدًا حيث يريد، ولم تكن تلك الألحان سوى زقزقة العصافير التي اتخذت من الأشجار المتناثرة على حواف الطريق موطنًا لها، فهي أيضًا تقدر قيمة الوقت وتبدأ رحلتها باكرًا بالسعي وراء الرزق.

عاد يوسف أخيرًا من شروده على صوت سيف الذي لفت إنتباهه وقوف أخيه بالشرفة فقرر مشاكسته قليلًا دون أن يبالي بمنشفته الملقاة على أحد كتفيه ولا شعره المبعثر وكأن كل خصلة منه تقاتل أختها : صباح الخير يا رفيق الغربة

أجابه يوسف دون أن يلتفت له: كم مرة سأخبرك ألا تناديني بهذا اللقب!!؟؟

تقدم سيف بضع خطوات حتى أصبح موازيًا لأخيه فأخذ من يده فنجان القهوة وارتشف ما تبقي به: سأكف عن هذا عندما تخبرني كيف استطعت إمضاء عشرة أعوام من عمرك ببلد ليس بها من تحب، في الوقت الذي لا أقوى أنا فيه على السفر لمدة شهر واحد!؟

يوسف ولا زال ينظر أمامه: ألديك أحلام؟؟

- بالطبع

أدار يوسف وجهه إلى سيف وتابع حديثه: وإن كان عقلك بصف أحلامك أما قلبك فلا... من منهما ستؤيد؟ قلبك أم عقلك؟؟

لم يجبه سيف واكتفي بالإنصات فأردف يوسف قائلًا: الحديث مع أبي بينما نجلس أمام شاشة التلفاز وقد وضعت أمي أمامنا أكواب الشاي؛ شعور رائع لا مثيل له، وقبلات أمي وحنانها عندما تأتي لتتفقد غطائنا ليلًا رغم تخطينا الخامسة والعشرين؛ هو دفئ لا يمكن تعويضه بالدنيا وما فيها، ورفقتك في كل شيء حتى الشجار معك، لذة لا يمكن للعالم بأثره محوها من قلبي.

تنفس يوسف بعمق ثم أزاح بوجهه إلى الأمام ليثبت نظره علي تلك العصافير التي تغادر أعشاشها، مكملًا حديثه: ولكن يا صاح الشيء الوحيد الذي ستحصل عليه وأنت بكنف أبيك وأحضان أمك هو اللاشيء، لأنه ما من شيء يأتي للمرء دون سعي ومعاناة، وأما عن الغربة فهي لا تكون رفيقة لأحد، هي فقط تعذبك بالشوق والحنين حتي تعطيك ما تريد، ولا عذاب أقسى من عذاب الشوق والحنين.

ابتسم سيف معلنًا هروبه من جدية الحديث كعادته: يبدو أنها تعلم فلسفة الرد أيضًا

رفع يوسف حاجبه ليبدو على ملامحه الغيظ من أخيه الذي يجيد فن اللامبالاه: وتعلم أيضًا أن الإنسان الطبيعي عندما يستيقظ من نومه لا بد أن يذهب لحمامه أولًا كي يستعيد نشاطه وأناقة مظهره ثم يأتي للحديث.

وضع سيف يده خلف رأسه ممثلًا الحرج ثم تابع قائلًا: سؤال أخير وسأذهب!!

يوسف بملل: هات ما عندك

- أراك شاردًا كثيرًا في الآونة الأخيرة، فيما تفكر؟؟ ألـه علاقة بموضوع الأمس!؟

وضع يوسف يده على كتف سيف وقد هم بالخروج: سأخبرك كل شيء عندما أعود من المشفي فقد تأخرت

- لا بأس سأنتظرك

كنت مغرمًا بك يا وطني فحطمت أحلامي
وآلاف الأعذار إلتمستها لك لأحيي آمالي
ولكنك استصغرتني وزدت آلامي
فكان من الغربة بد حتي أنال بعض الأماني
فتغربت.... نعم تغربت يا وطني الغالي
وهناك كنت حرًا فتتبعت أحلامي
ولحقتها.... إي وربي لحقتها فلم يكن هناك من يشد لجامي

ولكن... شعرت بغصة وكابوس يؤرق منامي
فراجعت نفسي وتمعنت بحالي
فأيقنت أنه اشتياق رئتي لرائحة ترابك السامي
وافتقاد عيني للون طينك ونهرك الجاري
وأما عن قلبي فتذكرت أني تركته بك قبل ترحالي.
فآه من حب لمحبوب يعذبنا ولا يبالي

وصلت لشقتها التي تشبه الكهف في برودته وظلمته فهي خالية من تلك الأجواء التي تضفيها الروح البشرية حيث تذهب، أما هي فقد اعتادت الوحدة حتي أصبح قلبها تمامًا كشقتها، تغلب عليه البرودة ويسوده الظلام.

مددت نادين جسدها على الفراش وأغمضت عينيها لتستعيد بذاكرتها أحداث هذا اليوم الممل وكيف أن طبيبًا حنقًا قد أتى على حين غفلة إلى إجتماعها مع الأطباء وعارض فكرتها ولم يكتف بذلك وحسب وإنما أقنعهم برأيه أيضًا ليحول بينها وبين تصريح الموافقة وزاد البلة طين بصراخه في وجهها قائلًا: علي ما يبدو يا آنسة أنك تأثرتي كثيرًا بخيال الأفلام والروايات

فأجابته بفخر وتحدي: ما تراه أنت خيال بالأفلام والروايات جعلته أنا حقيقة ملموسة وسأجربه رغم أنف الجميع

ولهذا أقسمت على إنهاء ما بدأته وإن عارضها الجميع فهي لن تتخلي عن حلمها بمغادرة هذا العالم السليط والعيش حيث الخيال والأحلام الوردية، وما إن أنهت توعداتها حتى مرت أحداث الماضي متسارعة أمام

عينيها فشعرت برجفة تجتاح جسدها وكادت تدخل في نوبة بكاء لا يدرك ألمها إلا من ذاقه، لولًا مهاتفة ليليان لها.

- أهلًا ليليان
- أهلًا بك نادين
- لم تأخرتي؟؟
- جدي يريدني في موضوع هام
- ألن تستطيعي تأجيله للمساء؟؟
- سأخبره وآتي
- لا بأس أنا في إنتظارك

أغلقت نادين الهاتف واتجهت إلى غرفة أخرى كانت أدوات طبية وهيكل عظمي كان لابد لها من شراءه كونها طالبة بالفرقة الخامسة بكلية الطب، ولكن استحوذ علي الغرفة جهاز غريب لا يمكن لأحد سواها تعريفه، له شاشة تشبه شاشة الحاسوب ومتصل بالكثير من الأسلاك لكل منها عمله الخاص، واتصل بستة منها أقطاب مزدوجة واثنين منهم متصلين بجهاز صغير يشبه المونيتور وليس هو.

مضت نصف ساعة استطاعت فيها ليليان إقناع جدها بتأجيل حديثهما للمساء، ووصلت إلى نادين في الوقت المناسب فاستقبلتها نادين ثم بدئتا حديثيهما حول تجربة الجهاز.

نادين بحماس: الآن كل شيء جاهز يا ليليان

ليليان بحماس لا يقل عن حماس نادين: أي أنني الآن أستطيع التجول بعقلي ورؤية ما يدور به!؟؟

- أجل ولكن لندعو أن يعمل كما خططت له
- سيعمل إن شاء الله ولكن أخبريني هل ما سأراه سيتجسد علي هذه الشاشة وكأنه فيلم!؟؟
- بالطبع لا، أنتي فقط سترين هذه الأمور، أما الشاشة فلن يظهر عليها سوي بعض المؤشرات التي ستوضح كيف تسير الأمور معك.

ليليان مشيرة إلى الأقطاب : وما هذه الاقطاب؟؟ أهي التي توضع على صدر المريض عندما تجرون له رسمًا للقلب؟؟

- ليست هي تمامًا ولكنها تشبهها إلى حد ما
- وماذا سنفعل بها؟؟
- سنضعها على مناطق معينة في الرأس ونتأكد أنها متصلة بالخلايا العصبونية و..... قاطعتها ليليان قائلة: لا يهمني ما تتحدثين عنه، ما أوده هو تجربة هذا الشئ وحسب.
- سنجربه معًا ولكن لا بد أن نكون ثلاثة أشخاص
- ثلاثة!! لم؟؟
- أنا وأنتي سنجربه معًا واحدانا ستكون ضيفة لدي الأخرى، أما الشخص الثالث فعليه مراقبة مؤشرات الجهاز ومن خلالها سيتأكد إن كان الجهاز يعمل أم لا وهل نحن بخير..... أم لا
- وهل من الممكن أن لا نكون بخير؟؟
- لا أعلم ولكن علينا وضع كل الاحتمالات فكما تعلمين تلك هي المرة الأولى التي يستخدم فيها الجهاز
- حسنًا، أنا لدي الحل

- ما هو؟؟
- سأجربه أنا فقط وأنتي ستراقبين لأنك أكثر من يمكنه فهم ما يحدث
- صمتت نادين وكأنها تفكر في قرار ليليان فبادرت ليليان متسائلة: ألن أستطيع تجربته وحدي؟؟ أم أنه يشترط أن يكون شخصين في الوقت ذاته؟؟
- لا..... لا يشترط ذلك ولكن وددت تجربته حتى أكون معك

ليليان مازحة: يا هذه أتودين تجربته؟ أم أنك تودين الاطلاع على عالمي الخاص؟

نادين ضاحكة: وهذا دافع آخر لأصر على تجربته، فالاطلاع على عالمك الخاص سيكون أمرًا مدهشًا للغاية فأنتي فتاة مرحة وخيالك واسع ولا بد أن يكون لديكي الكثير من الأحلام الجميلة

ليليان ساخرة: تسيئين فهم مخيلتي

- لا بأس سأعلم فيما بعد إن كان إعتقادي خاطيء

ليليان وهي تجلس على الكرسي المجاور للأقطاب: فتاة لئيمة، هيا أنا فقط سأجربه وأنتي راقبي وعندما أنتهي سنعكس الأمور

- حسنًا سنبدأ... والآن انزعي حجابك كي أستطيع وضع الاقطاب في أماكنها الصحيحة
- وماذا عن تلك الحلقة؟؟
- لن نستخدمها طالما أنك وحدك... فالغرض منها هو اتصال السيالات العصبية الخاصة بك بالسيالات العصبية للشخص المرافق لكي
- هذا أفضل ففي كل الأحوال لا أود أن يطلع أحدهم على مخيلتي

نادين ساخرة: أنها أسرار خطيرة

- لا ولكن أود عيش المغامرة وحدي

بدأت نادين تثبيت الاقطاب علي رأس ليليان وكانت عبارة عن ثلاثة أقطاب في كل جانب، فوضعت خمسة وتبقي واحد: ليليان عندما أضع آخر قطب ستفقدين وعيك وتذهبين إلى حيث يأخذك عقلك ويمكنك القول ستذهبين إلى عالمك الخاص

- وأنا مستعدة.. هيا ضعيها سريعًا

وبالفعل ثبتت نادين آخر قطب وضغطت على زر البدء لتري ليليان تغمض عينيها تدريجيًا حتى غابت تمامًا عن الوعي.

* * * *

في العاشرة مساءً استقبل قسم الطوارئ بالمشفي الجامعي فتاة فاقدة للوعي ومثبت برأثها أقطاب متصلة بجهاز يصدر صوت مزعج يشبه صوت المونيتور عند توقف القلب، فحاول الأطباء نزع الاقطاب ولكن فتاة أخرى كانت مصاحبة للمريضة منعتهم من ذلك مؤكدة أن نزع الاقطاب قد يودي بحياة الفتاة فلم يكن بيد الأطباء شيء سوى امداها بالمغذيات والتي رفض جسدها استقبالها.

كان الجد برفقة ليليان، يجلس بجانبها وقد وضع رأسه بين كفيه لا يدري أيلوم نفسه لأنه سمح لها بالذهاب؟؟أم يلومها لأنها لم تصغي لتحذيراته من رفيقتها.. فرؤيته لحفيدته الغالية وهي جثة هامدة كادت تمزق نياط قلبه، فتذكر كيف أنها تأخرت عليه بالقدوم وعندما هاتفها فلم تجبه وكيف أن نادين كذبت عليه عندما هاتفها هي أيضًا فأخبرته أنها مرضت

وستقضي الليلة معها، فلم يستطع تمالك أعصابه وقتها فقد لاحت الأفكار السوداء أمام عينيه فأخذ معطفه وذهب لاحضار حفيدته بنفسه وبالفعل أحضرها ولكن إلى المشفي، وما زاده غيظًا ما تتفوه به نادين حول جهازها وأن ليليان الآن بعالم آخر من صنع مخيلتها، فما كان من الجد إلا أن ثار على نادين وهددها

فتحت ليليان عينيها تدريجيًا ونبضات قلبها تتزايد والعالم يدور من حولها وكأنها سقطت لتوها من دوامة فوجدت نفسها ملقاة على أرض رملية والشمس متعامدة على رأسها وآشعتها تغازل عينيها فلا تستطيع الرؤية بوضوح، فجلست وضغطت على رأسها في محاولة منها لتخفيف صداعها، حتى هدأت قليلًا فتذكرت أن آخر ما رأته كان صورة نادين التي تشوشت شيئًا فشيئًا حتي اختفت وذلك بعد أن ضغطت على زر البدء فشعرت ليليان برعشة وكأنها تعرضت لماس كهربي خفيف، ثم اعتلى رأسها دوار خفيف وكأن هناك دوامة تجذبها للأسفل فاستسلمت لهذا الشعور حتي وصلت إلى هنا.

وبعد أن تذكرت ما حدث هبت واقفة لتنظر حولها وتعلم أين هي بالتحديد، فرأت علي بعد أمتار منها شاطيء يعج بالناس وامرأة تحمل طفل صغير وتصيح، وبعيدًا عنهم فتاة تبكي، فلم تستطع ليليان تمالك أعصابها فخرت جاثية على ركبتيها وعادت بذاكرتها بضع سنوات عندما كانت بالصف الثاني الثانوي وناقشتهم المعلمة حول كلمتي العجز والضعف فتكلمت ليليان : العجز يا معلمتي لا يشترط أن يسببه مرض أو إعاقة فتعجز عن تحريك يد أو قدم أو أي عضو آخر، فأنا لا أعد هذا عجزًا.

فالعجز هو أن تكون صحيح البنية ضعيف النفس، عندئذ ستعجز عن الكثير، كأن تعجز عن مساعدة من يحتاج مساعدتك رغم أنك صحيح البدن، حتى نفسك قد تعجز عن مساعدتها وهذا الشعور قاتل ؛ فكم هو مؤلم شعورك بالعجز أمام من تعلم أن مساعدتك لهم حياة!! تمامًا كصغير يغرق ونجاته أخذك بيديه فتخذله رغمًا عنك، فيودعك بنظرة لوم تصحبها دموع دافئه علي وجنتيه تختلط بماء البحر عندما يكسو الماء وجهه وعينيه فلا تري منه شيئًا سوي يده الصغيرة التي لا زالت ترفرف فوق الماء أملًا في اللحاق بها بينما أنت ثابتًا في مكانك عاجز عن الحراك، فقط عينيك مصوبة تجاه تلك اليد الملائكية التي تغمرها المياه شيئًا فشيئًا حتى تختفي من أمام ناظريك لتتركك شريد الروح هائم في الدنيا على قدميك وكأن دماء أحدهم ملطخة بيديك، فيصبح العجز وصمة قد وضعت على جبينك لا يراها أحد سواك وكلما حاولت محوها تجسدت أمام مقلتيك لتذكرك من أنت!!

عادت ليليان من شرودها وقد كانت أفكارها تتصارع وتتضارب فجزء من عقلها يذكر هذا المكان وتلك الحادثة المشؤمة وجزء آخر يرفض هذه الحقيقة، فاشتد صداع رأسها ودارت الأرض بها حتى وقعت مغشيًا عليها، ولم تدري كم من الوقت مضي حين استعادة وعيها مرة أخرى لتجد نفسها ملقاة في أحد الأحياء وأمامها فتاة تجلس القرفصاء وتبكي، فاستنكرت ليليان ما يحدث لها، وأي شيء أسوء من الصراع مع النفس، عندما تكون أنت عدوك، تعلم نقاط ضعفك فتستخدمها ضدك حتى تقهرك فتصبح المهزوم المنتصر.

عاود ليليان الصداع مرة أخرى لتعاد الكرة حتى تفيق من غفلتها فتجد نفسها في أرض لم ترها من قبل

في غيابت الجب ألقيت الماضي، فأتي المارة ولم يسروه بضاعة، فالجميع أيامه خصبة، يتزوج الحاضر فينجب الماضي، ولهذا بقي ماضيًا في غيابت الجب، وعندما أتيت بقميصه ملطخ بنسيان كذب وأخبرت الجميع أن السنين قد إلتهمته بينما ألهو، برأت نفسها وكشفتني عندما رآه الجميع ولا زال يلاحقني

دخل يوسف مكتبه ليبدأ يوم جديد بالإنصات إلى أوجاع ومعاناة مرضاه ولكن الأخبار السيئة دائمًا ما تسابق الريح.

علم يوسف بمجرد وصوله إلى المشفي بما فعلته الفتاة الجامعية صاحبة الاختراع، وبعد إنتهاء دوامه مر عليه أحد زملائه

- كيف الحال يا يوسف
- بخير الحمد لله... تفضل
- هل علمت بما حدث؟؟
- للأسف علمت
- وهل تعتقد أن الفتاة ستنجو وتستعيد وعيها؟
- لا أعلم ولكني سأمر عليها، علي أن أتوصل إلى حل
- المدير شدد على عدم دخول أحد لغرفتها
- لا يمكنه منعي من ذلك وإلا ستكون العواقب وخيمة
- إذا كنت ضمن المدعوين لإجتماعها!!؟

- أجل كنت معهم واعترضت على فكرتها لكن اللئيمة لم تقل أن الجهاز قد انتهي
- ما يحيرني أن العلامات الحيوية للفتاة في أحسن ما يكون
- سنفهم كل شيء..... ألم يعترض أهل الفتاة علي ما حدث لها!؟
- إلى الآن لم يأتي سوي جدها.

أنتهى حديث يوسف مع زميله وهم بالذهاب ليرى الفتاة وعند وصوله إلى الغرفة المنشودة وقع بصره علي جد ليليان وهو جالس على أحد المقاعد أمام الغرفة فتسمر مكانه محدثًا نفسه : الفتاة العالقة بالجهاز ليليان!!؟ ....لا ربما ليست هي ولكن ما الذي يفعله جدها أمام الغرفة؟..ثم تذكر كلام زميله (إلى الآن لم يأتي أحد سوي جدها)

قطع الجد تساؤلات يوسف عندما رآه فهب واقفًا وتقدم بضع خطوات ليقف أمامه : يوسف!! جيد أنك أتيت

يوسف متسائلًا وهو يتمني أن ينفي الجد سؤاله :ليليان بالداخل؟؟

وتأتي الرياح بما لا تشتهيه السفن: نعم وحالها سيء فجسدها لا يستقبل المغذيات.

أغمض يوسف عينيه ومسح جبهته بيده ثم مررها على شعره وتنفس بعمق: ستكون بخير إن شاء الله، عد أنت إلى المنزل واسترح قليلًا

- سأعود لأحضر بعض الأوراق وأخبر والديها بالأمر، وأنت لا تتركها وإن تحسن حالها فأخبرني على الفور لأعود
- حسنًا ...في أمان الله

ذهب الجد إلى منزله ودخل يوسف الغرفة ليجد ليليان ممدة كما الأموات، رأسها عالق بالأقطاب ويدها متصلة بأنابيب المغذيات، وأما نادين فتجلس على مقعد تراقب مؤشرات جهازها بتركيز حتى أنها لم تنتبه لدخول يوسف إلا بعد إغلاقه الباب بقوة، ففزعت والتفتت خلفها فوجدته واثبًا أمامها

- أنتَ!!!
- نعم أنا... ألم تسعدكي رؤيتي!؟
- من سمح لك بالدخول؟؟ ألم يخبرك أحد بقرار المدير!؟
- لا يمكن لأحد منعي من الدخول.... أنسيتي أنني كنت أول المدعوين للاجتماع كوني الإستشاري الأول هنا!!؟
- لا لم أنسى ولن أنسى أيضًا أنك أفسدت يومي وتسببت في سحب الموافقة مني
- لديك ذاكرة ممتازة، ولكن ألم تخبرينا أن الجهاز لم يكتمل بعد؟
- لست حمقاء حتى أخبركم أنه انتهى فيأتي متطفل آخر ويفسد كل شيء

يوسف ساخرًا: ذكاؤك يفوق مظهرك

- هذا ليس من شأنك والآن إن لم يكن لديك شيء مفيد فأخرج رجاءً، فلا أريد إزعاج

ضم يوسف قبضته ورص على أسنانه: يالا وقاحتك!! تتحدثين وكأن شيئًا لم يكن... ثم تابع صارخًا: كيف تفعلين هذا بها!؟؟ أي قلب تمتلكين حتى تجعلي رفيقتك فأرًا لتجاربك .

- كفي لا يحق لك التحدث معي بهذه الطريقة، والآن أخرج وإلا ناديت رجال الأمن

اتجه يوسف إلى الباب وأحكم إغلاقه من الداخل ثم تابع حديثه مهددًا: سأخرج من هنا ولكن إما وهي معي واقفة على قدميها وإما مع جثتك محمولة على سرير الموتي

- كيف تجرؤ على... قاطعها يوسف رافعًا سبابته بوجهها: اياكي والتفوه بكلمة أخرى... فقط أسأل وتجيبين... أود معرفة كل صغيرة وكبيرة تخص جهازك اللعين هذا
- لم كل هذا الغضب؟ لا أظن أنه لأجل فتاة!!
- هذا ليس من شأنك... تكلمي لم لا يمكننا نزع الاقطاب؟؟
- نزع الأقطاب حتمًا سيسبب لها تلف بخلايا المخ
- لماذا؟؟
- هذه الأقطاب وضعتها على مناطق الخلايا العصبية التي تقوم بتخزين المعلومات وتنظيم الأفكار، اي أن هذه الأقطاب متصلة بالمشابك والتي تنتقل من خلالها الدفعات العصبية بين الفروع العصبونية وبهذا سيحدث اتصال مباشر بين الأقطاب والخلايا العصبونية وهذا سيؤدي إلى تجسيد كل خيالات وأفكار ليليان وما تحتفظ به من معلومات
- أي أنها الآن تعيش بوهم من صنعها!!؟؟
- ليس تمامًا، فتلك الأقطاب لها ترتيب، أحدهم مسؤول عن تجسيد الذكريات العالقة برأسها والآخر مسؤل عن تجسيد ما تحتفظ به من

معلومات وأما الثالث فمسؤول عن تجسيد خيالها وبالأحري ما تسميه أنت وهم من صنعها

- هل لكي أن تخبريني بأيهم هي الآن؟؟

نادين مشيرة إلى شاشة الجهاز: كما تري هذا الخط المستقيم تظهر به نقاط صغيرة من ثلاثة ألوان مختلفة مما يعني أنها تائهة بالثلاثة معًا وهذا يدل على أنها مضطربة ولا تستطيع التركيز، وربما خائفة، ولكن إن استطاعت الهدوء والتركيز سيتلون هذا الخط بلون واحد فقط على حسب المرحلة التي تمر بها فإن كانت من الماضي سيتلون بالأسود وإن كانت معلومات تحتفظ بها سيتلون باللون اللازوردي وإن كان خيالًا فسيصبح لونه وردي، ومن المحتمل أن تمر بالثلاثة ولكن كل علي حدي، أي تنتهي من إحداهن وتبدأ بالاخري

- ومتي يمكنها الخروج؟؟
- عندما تهدأ وتتوالى الأحداث بالترتيب سيزول خوفها، وعندها هي من ستقرر الخروج وتلقائيًا سينقطع الإتصال بين الأقطاب وعقلها ومن ثم تستعيد وعيها.
- وماذا إن لم تستطع الخروج؟؟ ستقضي بقية عمرها هكذا!!! رأسها عالق بجهازك ويدها بأنابيب المغذيات؟؟..عندها سأشرح رأسك بيدي حتي لا يخرج لنا بمصيبة أخرى
- كف عن تهديدي لأنه إن أصابني مكروه فصدقني لن يستطيع أحد إخراجها.... وبالمجئ إلى المغذيات أخبر رفاقك الحمقي أنها لن تكون بحاجة لها فقد سبق وأخبرتهم ولم يصدقوا

- بل تقصدين سيرفضها جسدها رغم حاجته لها

نادين بسخرية: تبدو أذكى من رفاقك... ثم تابعت قائلة: أنت محق، إن تناولت ليليان شيئًا في عالمها الوهمي فستقوم الخلايا العصبية بترجمة هذا علي الفور وبالطبع ستقوم السيالات العصبية بإرسال أوامر كاذبة إلى باقي خلايا جسدها فيرفض المغذيات لعدم حاجته لها... يمكننا القول أنه خداع للجهاز العصبي

- ولكن جسدها لن يتحمل هذا طويلًا، فكما قلتي إنها مجرد أوامر كاذبة، والحقيقة هي احتياج جسدها وخاصة عقلها للمغذيات وإلا...

نادين بلا مبالاة: ستموت.. ولهذا عليها الإسراع والخروج

- وكيف هذا؟؟
- لا أعلم... ولكنني أحاول إيجاد الحل، ربما نستطيع نزع الأقطاب
- كيف تقولين قد يحدث تلف بخلايا المخ وفي الوقت ذاته تودين نزعها!!؟
- قد تنجو إن نزعناها ولن يتلف إلا الخلايا الملاصقة للاقطاب
- هذا مستحيل... فالعصبونات التالفة لا يمكن تعويضها أي أن نزع الأقطاب يعني نزع عقلها... ثم أردف بعد أن وقع نظره على الحلقة الموجودة بجوار رأس ليليان: ماذا عن هذه الحلقة؟؟ما فائدتها؟؟

نادين وكأنها انتبهت لوجودها توا: الحلقة!!!

- نعم... هل لها علاقة بشئ مهم ونسيتي استخدامها؟؟
- فعلًا.. لقد نسيت أمرها تمامًا ولكن ليس لها علاقة بما يحدث
- كفي ألغازًا وأخبريني ما فائدتها؟؟

- هذه الحلقة ومعها ثلاثة أقطاب مهمتهم إرسال شخص آخر إلى عقل مستخدم الجهاز.
- كيف؟؟
- الحلقة يتم فتحها ويثبت أحد طرفيها باليد اليسري للمستخدم والطرف الآخر باليد اليمني للمرافق، أما الأقطاب فتوزع علي مناطق الخلايا العصبية للجانب الأيمن من رأس المرافق، ووظيفتها تعطيل هذا الجانب عن العمل وبالتالي يخضع لما يأتي له من سيالات عصبية من المستخدم
- وهل يمكنني رؤيتها والتحدث إليها؟؟
- إنك تحلم... فأنا لن أتحمل مسؤولية شخص آخر
- إن لم أذهب أنا ستذهبين أنتي ولا أظن أنك ستخاطرين بحياتك لأجلها فهي لا تهمك.
- ليس من حقك الحكم على
- لم أحكم عليك ولكن فعلتك هي من حكمت وليس علي المريض حرج ولا أراكي سوي مريضة نفسيًا وربما مجنونة.
- كنت مجنونة لأني جعلتها تجربه وهي كانت أجن عندما تسرعت ووافقت، أما أنت فالأكثر جنونًا على الإطلاق، تري حالتها بعينيك ورغم هذا تود الذهاب.... ولن أصدق أنك ستخاطر بحياتك لأجلها فحتمًا أنت تسعي لمكانة أفضل

يوسف ساخرًا: فليكن كذلك.. وتخيلي عندما أعود وأحصل على ترقية أفضل... ربما مديرًا للمشفي.... وربما وزيرًا للصحة من يدري!؟... عندها سأحطم هذا الجهاز على رأسك.

- هذا إن ذهبت

أتجه يوسف إلى المقعد المجاور لليليان والجهاز وجلس عليه: سأذهب وعندما أعود وعدًا مني لن أغفر لكي أنانيتك.... هيا ضعي الأقطاب ولا تجعلي الأطباء يتوقفون عن إمدادنا بالمغذيات وسأجعل أجسادنا تستقبلها.

لم يكن بيد نادين حل آخر فقامت بتوصيل الأقطاب والحلقة، ثم ضغطت على زر البدء فشعر يوسف برعشة وكأنه تعرض لماس كهربي خفيف ثم بدأ يشعر بدوار شديد وكأن هناك دوامة تجذبه للأسفل فاستسلم لهذا الشعور حتي غاب عن الوعي، ليمضي مالا يعلمه من الوقت ويفتح عينيه ليجد نفسه ملقًا بأرض لم يرها من قبل.

* * * *

ليليان

أظن أنني أمضيت الكثير من الوقت وأنا فاقدة الوعي هذه المرة وعندما عدت لوعيي هالني ما رأيته، وراودتني أحاسيس مختلطة بين الخوف والدهشة.

كنت ملقاة على طريق حجري وعلى جوانبه تناثرت المنازل بطريقة عشوائية وكانت جميعها متشابهه من حيث طريقة البناء وحجرية كالطريق، ذات طراز قديم للغاية، تبدو كالمباني الفرعونية ولكن علي الأرجح ليست هي فأنا لم أرى سوي أنها تقليد لها، فقد سبق لي وزرت جميع المعالم السياحية بمصر، كما أن الفراعنة كانوا بارعين جدًا في الهندسة المعمارية وهذا ما لم ألحظه على هذه المدينة، وبذلك استبعدت كوني على الأراضي المصرية القديمة وأدركت أنني عالقة بإحدي المدن التاريخية ولكن أي واحدة منهم؟؟ لم أستطع الإجابة على هذا السؤال فعقلي يحوي الكثير من تاريخ بلاد الشرق والغرب والحضارات القديمة كالفرعونية واليونانية والرومانية.

سرت طويلًا في هذه المدينة حتى أنهكني التعب، وأثناء سيري دخلت في شارع جانبي وسرت به حتى ابتعدت قليلًا عن المدينة فوجدت بستانًا صغيرًا به أشجار مثمرة فتناولت منها الكثير وكانت هذه الثمار حبات الكروم فتمنيت لو أنني أتذكر أي بلاد تلك التي اشتهرت بزراعة الكروم والحبوب ولكن للأسف لم تساعدني ذاكرتي وخاصة بعد امتلاء معدتي، ارتحت قليلًا ثم عدت إلى الشارع الرئيسي ومرة أخرى تمنيت لو أنني أجد إنسان واحد على الأقل فكأن الأرض ابتلعت سكان المدينة أجمع.

وعندما أسدل الليل ستاره وحل الظلام بدأت أشعر بخوف شديد ولأول مرة أندم على حبي للتاريخ وحرصي علي حفظه، فانزويت في أحد الأركان وكعادتي بدأت البكاء.

يوسف

عندما بدأت أستعيد وعيي شعرت بدوار شديد وكأنني سقطت لتوي من تلك الدوامة التي جذبتني للأسفل مسبقًا.

أمضيت بضع دقائق ملقًا على الأرض حتي استعدت توازني وبعد نهوضي فوجئت بما رأيت، فقد كنت ببلد غريب جدًا فالأرض حجرية والمنازل كذلك وأكثر ما لفت إنتباهي، الشعل النارية التي تضيئ الطرقات، فقد ثبت علي جدار كل منزل حلقة حديدية ووضع بها شعلة نارية للإضاءة، في الحقيقة كان المنظر رائعًا فقد كان يشبه شوارع باريس قديمًا.

استنتجت مما رأيت أمرين ؛ أولهما أنني بإحدي البلاد القديمة وثانيهما أن هناك أناس يعيشون بهذه المدينة ولكن ما زاد حيرتي هو أين هم؟؟ ولما هذا السكون المخيف.

عدت سريعًا من شرودي على صوت بكاء مكتوم وشهقات مسموعة فنهضت ونفضت الغبار العالق بثيابي ثم اتجهت للأمام بضع خطوات هادئة كي أستطيع الإنصات إلى الصوت فأيقنت أنه يأتي من أحد الطرق الجانبية ولكنني لم أستطع تحديده فاتجهت ناحية اليمين فوجدت الطريق قصير والظلام به حالكًا فشعل منازلة لم تكن مضاءة ولن أنكر أني شعرت برهبة حينئذ، فأي مدينة تلك التي تخلو من السكان سوي مدينة الموتي التي قرأت عنها في إحدى الروايات، فجال بخاطري أن ليليان لربما قرأتها فعلقت بذهنها والآن سنعيش أحداثها وعلينا البحث عن المخطوطة والتخلص منها ثم رأيت أن تفكيري كان ساذجًا فليليان أضعف من أن تقرأ هذه الروايات، فلم يكن بيدي شيء سوي العودة أدراجي فالطريق الرئيسي كان أقل رهبة، وعندما عدت سمعت الصوت مرة أخرى فاتجهت ناحية اليسار وماهي إلا خطوات معدودة حتى توقفت في مكاني مشدوها وقد اتسعت حدقتا عيناي، فكأن هذا المشهد يكرر نفسه مرة أخرى ولكن بعد مرور ستة عشر عامًا.

إنها ليليان تجلس القرفصاء وقد احنت رأسها على ركبتيها وتبكي فرغم أنها صارت فتاة ناضجة إلا أنها لا زالت تلك الفتاة الخائفة ابنة السادسة ولكن هذه المرة لن ألوم خوفها فأنا نفسي كنت أشعر بشئ من الخوف.

ليليان

بينما أنا غارقة في دموعي سمعت وقع أقدام ففزعت وخشيت أن يكون الحراس قد عادوا ولكن عندما رفعت رأسي وجدته شابًا قد تجاوز السابعة والعشرين وربما لا زال بها، طول قامته وأناقة مظهره أضاف إليه هيبة ووقارًا، ملامحه بدت مألوفة لي ورغم هذا قررت الفرار فأنا لا أذكر أنني رأيته من قبل ولهذا جولت بعيناي في المكان باحثة عن مفر ولكنه علي ما بدي أدرك خوفي وما أفكر به فبادر بالحديث سريعًا

- ليليان لا تخافي

بمجرد نطقه لاسمي شعرت ببعض الطمأنينة لأنه يعرفني: من أنت؟

- أنا يوسف
- أنت من عالمي!!! أقصد أنك لست وهمًا!؟؟

يوسف مبتسمًا رغمًا عنه : وما الذي يجعلك تعتقدين ذلك!؟؟

- يبدو هذا علي ملابسك
- وهل رأيتي أحد هنا يرتدي ملابس غير هذه؟
- نعم رأيت رجلين يبدو من ثيابهما أنهما من إحدى الحضارات القديمة
- أسمعتي حديثهما؟
- لا..... حاولت ذلك ولم أستطع فقد كنت مختبئة حتى لا يرياني... صمتت قليلًا ثم اردفت : وأظن أنهما من أضاء شعل المنازل ولكن منذ أن رأيتهما وأنا في حالة يرثي لها
- لما؟؟

- لقد كانا طويلي القامة جدًا

يوسف مازحًا : أطول مني؟؟

إستأنست ليليان بحديثه فتابعت بعفوية تصف الحارسين: بكثيييير، فأنت قزم بالنسبة لهما وأضف علي ذلك مظهرهما المخيف وجسدهما شبه العاري • ولدي كل منهما رمح حديدي طويل ودرع وسيف مثبت علي خصره.

يوسف محاولًا إخفاء دهشته: لعلهما حارسين!.

- هما بالفعل كذلك،...ثم تابعت مؤشرة بيدها : أنت!! كيف أتيت إلى هنا؟؟

جلس يوسف علي بعد مسافة منها وأسند ظهره على الجدار ومدد إحدى قدميه وأثني الأخرى ووضع يده علي ركبته ثم رفع رأسه للسماء مراقبًا جمال القمر المكتمل: أتيت إلى هنا بنفس الطريقة التي أتيتي أنتي بها

رمقته ليليان بنظرات استغراب ثم قالت: اتيت عن طريق جهاز وضعت أقطابه علي رأسك!!؟؟

أبتسم يوسف ولا زالت عيناه عالقة بالسماء: نعم

ليليان وقد بدأ الشك يتسرب إلى عقلها: لا تخبرني أن صديقك هو من اخترعه أيضًا.

لم يستطع يوسف كبح ضحكة فعلا صوته والتفت لها برأسه قائلًا :لا فصديقي ليس أنانيًا أو مجنونًا ليضحي بي

- ماذا تقصد!!؟ومن أين علمت أن أسمى ليليان!؟؟

- أتيت عن طريق الجهاز الخاص برفيقتك وعلمت أسمك منها

- ولما أتيت؟؟
- أردت تجربته

ليليان عاقدة حاجبيها: كان عليك الإنتظار حتي أعود لتجربه علي راحتك!!

يوسف محدثًا نفسه (لو أنني متأكد من عودتك لما أتيت!!) ثم تابع قائلًا بنبرة ساخرة: لم أستطع الانتظار

- وهل تراك تتجول بعقلي الآن!!؟؟

يوسف ولا زال يتحدث بنبرته الساخرة: أجل وأتمنى أن يقدم لنا عقلك أفضل ما لديه حتي لا تضيع رحلتنا هباءً

ليليان وقد بدي عليها الغضب: يا هذا عليك أن تخبرني من أنت ومن الذي دفعك للمجئ... ثم تابعت صارخة: فعقلي ليس لعبة يعبث بها من يريد.

احتدت نبرة يوسف وامتزجت بغضبه فأشر لها بسبابته: اولًا حافظي على أعصابك هادئة لأن غضبك لن يكون في صالحنا، أما بالنسبة لعقلك فأنتي من جعلته لعبة تعبث بها رفيقتك ولولًا سذاجتك ما فعلت هذا بك!!!! وبالمجئ إلى فأنا طبيب وأعمل بالمشفي الذي تحتجزين به الآن وأنا..... قاطعته ليليان قائلة: مهلًا.....أي مشفا هذا الذي أمكث به!!؟؟

- منذ متي وأنت هنا؟؟
- لا أعلم
- أنتي هنا من البارحة ظهرًا وأما جسدك فهو ممد بالمشفي الذي أعمل به.

ليليان وقد اعتلت الدهشة وجهها: البارحة!!!

- نعم ولهذا قلق عليكي جدك فطلب الإسعاف وتم إحضارك إلينا
- وهل جدي بخير!!!؟ وماذا عن أبي وأمي؟هل علما بما حدث!؟؟
- جدك قلق جدًا ويتوعد لرفيقتك وأعتقد أنه سيخبر والديكي بما حدث وربما أخبرهما
- حسنًا....لم تجبني بعد!! لماذا أتيت
- وكلت بحالتك وكان علي التأكد من أقوال رفيقتك حتي أنزع
- الاقطاب
- ولماذا لم تنزعها دون تجربته؟؟
- لا يجب نزعها قبل أن تستعيدي وعيك
- ولم؟

يوسف وقد أشتد غضبه من أسئلتها المتلاحقة: دعك من أسئلتك اللامتناهية تلك وانهضي كي نبحث عن مكان آمن نبيت فيه

- ماذا!!!! إننا بمكان خالي من البشر وحتي لا أعلم من أين أتى الحارسان!!! أو لعلهما أتيا عن طريق جهاز ما أيضًا، والجو مخيف حد الموت وأنت يا حضرة الطبيب تريد مكانًا لنبيت فيه!!!

يوسف بنبرة ساخرة ممتزجة بغضبه وقد هم بالوقوف؛ ياا آنسة أعلم أن الجو مخيف حد الموت ولهذا علينا البحث عن مكان أكثر أمانًا... ثم أردف: أفهمتي الآن؟؟

ليليان بنفس نبرته: وهل أخبرك أحدهم أنني غبية!!! ثم تابعت: علينا البحث عن مخرج من هنا وليس مكانًا نبيت فيه.

يوسف وقد هم بالذهاب: إذا أردتي الخروج من هنا عليكي الإنتظار حتي الصباح لنعلم أين أخذنا عقلك النابه.... والآن اتبعيني.

- إلي أين؟؟؟

يوسف وقد وصل به الغضب أقصاه فوضع يده على وجهه ليمسح بها جبهته ثم يمررها علي شعره : إلى..... مكان..... نبيت..... فيه!!

ليليان بأستسلام : آتية فلا تغضب هكذا

يوسف ساخرًا وهو يتابع السير: ومن قال أنني غاضب!!! كل ما في الأمر أننا إن لم نمت بسبب الجهاز فأنتي ستسببين لي ذبحة صدرية وتبقين وحيدة هنا ويقتلك الخوف.... ثم دار برأسه لها مردفًا: ما رأيك؟؟ نهاية سعيدة!!؟

ليليان وهي تتابع السير خلفه: أري أنك تهاب الموت جدًا!!... فهل كنت مجبرًا علي القدوم.

يوسف وقد عاد ينظر أمامه ويتابع بنبرة هادئة يشوبها الحزن: لو لم آتي لكان الموت أهون عندي

- لم أفهم!! ماذا تقصد؟؟

- لو لم آتي لقيل عني فاشل لا يستطيع علاج مرضاه

ثم تابع مازحًا: وهذا وصف أنا لا أرضاه

- غريب أنت!!! تعرض حياتك للخطر حتي لا يقال عنك فاشل!!

- لو أنك بمكاني ما الذي ستفعلينه؟

- سأفعل ما آراه مناسبًا لي ففي كل الأحوال الناس يقولون ولن يكفوا عن القول حتي تستوي الأرض ومن عليها

- أنت محقة ولكن لكل قاعدة استثنائات
- ربما

أقترب يوسف من الشارع الفرعي الموجود على الناحية اليمني من الطريق الرئيسي فأشر ناحيته بيده قائلًا: هل مررتي بهذا الشارع من قبل

- لا فكما تري يسوده الظلام
- لعل هناك سبب جعلهم يطفئون شعله
- ولعلها مهجورة!!
- ولهذا سنذهب إليه

ليليان بعيون جاحظة :أأنت جاد!!؟؟

- بالطبع أنا جاد لأننا لن نستطيع الذهاب إلى منزل آخر فندق بابه ونخبر صاحبه أننا من عالم آخر يليهم بآلاف السنين وعليه أن يستضيفنا حتي نفيق من وهمنا

توقفت ليليان عن السير وأجابت بحدة: أنا لن أذهب إلى هناك

أضطر يوسف للتوقف عن سيره أيضًا: هل لديكي إقتراح آخر؟؟

- لا ليس لدي ولكنني لن أذهب.... ثم تابعت: ألا تري هذا الظلام!؟وماذا إن كان هناك من يسكن تلك المنازل؟ ومنذ متى وأنا أعرفك!!؟أنت أيضًا غريب مثل هؤلاء الذين لا أعلم أين هم

يوسف وقد أصابه الملل: أعلم أنني غريب بالنسة لك ولكن علي الأقل أنا فقط من يعلم من أنتي وكيف أتيتي، فرجاءً ثقي بي ولا تلحي علي بأسئلتك اللامتناهية تلك..... ثم تابع قائلًا بنبرة أكثر هدوئًا: لا تخافي من ظلمة المنازل سأضئ لكي أحدهم

لم يكن بيد ليليان حل آخر فاتبعته في صمت وقبل دلوفهما الطريق تسلل يوسف وأخذ شعلة أحد منازل الطريق الرئيسي ثم توغلًا في الطريق المظلم باحثين عن منزل بابه مفتوح أو به نافذة يمكن الدخول منها وبعد بحث لم يدم طويلًا عثرًا علي منزل قد أغلق بابه من الخارج ففتحه وتبعته ليليان ثم أغلقه من الداخل وأضاء شعله ليظهر أمامهما أثاث المنزل المكون من بعض الأواني الفخارية وبساط قديم يبدو قيم في أوانه وعلي الجوانب ثلاثة أبواب لثلاثة غرف فارغة عدًا واحدة بها سرير وغطاء، كانت الحياة واضحة علي أجواء المنزل مما أكد لهما أنه ليس مهجورًا

يوسف: ليس مهجورًا كما ظننا

ليليان وهي تستكشف المكان بعينيها وقد بدي الإعجاب على وجهها وكأنها لم تسمع ما قال: إنه أكثر من رائع أليس كذلك!!؟

- أراه أقل من عادي!! فأين الرائع به؟؟
- أنظر إلى تلك الأواني وما عليها من..... صمتت وهلة فبادر يوسف: ما الذي حدث!!!؟
- لقد علمت أين نحن!
- أين؟
- في إحدى بلاد اليونان القديمة
- ماذا؟؟بلاد اليونان!!!كيف علمتي؟
- النقوش الموجودة على الأواني إنها لبعض الأساطير اليونانية واليونانيين كانت عادتهم نقش أساطيرهم علي الأواني

وضع يوسف يده على جبينه: ألم تجدي غير بلاد اليونان لتفكري بها

ليليان مازحة: في المرة القادمة سأفكر بالساحل الشمالي أو الغردقة

- هذا ليس وقت المزاح

- وهل كان علي أختيار مكان أفضل لافكر به؟؟ثم إنني لم أفكر بها بل قرأت عنها وعن أساطيرها وكنت أتخيلها فعلقت برأسي

أتجه يوسف إلى الغرفة الحاوية علي الفراش وأضاء شعلتها: ستنامين هنا وأنا سأنام بالخارج

- هل ستظل مضائة طوال الليل؟؟

- أجل.. لا تقلقي

دخلت ليليان الغرفة وأحكمت إغلاقها بينما تمدد يوسف علي البساط بعد عثوره علي وشاح بإحدى الغرف فغطي جسده به وعقد أصابع يديه ثم وضعها أسفل رأسه وبدأ حديثه مع نفسه: إنها تخاف من كل شيء كعادتها وإن استمرت على حالها، سيكون خروجنا من هنا مستحيل .....وأنا لا أستطيع فعل شيء لها كما أن كسب ثقتها لا يبدو سهلًا فكما قالت ما أنا إلا غريب بالنسبة لها حتى أنها لم تستطع التعرف علي.... إضافة لكل هذا فإنها تثير أعصابي بأسئلتها الكثيرة وعنادها..... أي إختبار صعب هذا يا الله!!!

لم يستطع يوسف التوقف عن التفكير فقام ليبحث عن قليل من الماء حتي يتوضأ فقد كان في أمس الحاجة لمناجاة ربه وأداء فرائضه الفائته.

وبعد عثوره علي الماء أدى صلاته ولجأ إلى مضجعه عله يغفو قليلًا، وما هي إلا سويعات قليلة حتي ترتجل عينيه فيري طيف ليليان واثبًا أمامه: أستاذ يوسف!!! استيقظ

لم يأتها منه رد فتابعت: يا أستاذ استيقظ علينا الذهاب من هنا
فتح يوسف عينيه وجلس متربعًا ومسح وجهه بيديه وكأنه يمحو آثار النوم من ملامحه ثم يمررها علي شعره لتستقر علي عنقه وساد الصمت لحظات في محاولة من يوسف لاستيعاب ما حدث وأخيرًا أجابها بصوت جهوري يشوبه النعاس: ما الذي حدث؟لم تصرخين؟

- كنت أحاول إيقاظك فأثقل من نومك لم أرى فلو أتى أحدهم وألقاك في بحر ما كنت لتشعر بشيء

يوسف ضاحكًا: ليس إلى هذا الحد أنا فقط كنت متعبًا.....هل ناديتني بأستاذ يوسف!!؟

- نعم.... هل من مشكلة؟
- لا أتأكد فحسب
- حسنا لا تحلم بأن أناديك بغير هذا حتي أنه كثير عليك
- يوسف عاقدًا حاجبيه: ولما سلاطة اللسان هذه؟؟

ليليان بغضب: لأنه لو لم تصر علي تصرفك لكنا وجدنا المخرج بدل من نومك، كما أنني لست سليطة اللسان

يوسف هامسًا: هذا واضح!!! لقد أزداد لسانك سلاطة بينما ظل عقلك ساذجًا كما هو.

- ماذا تقول؟
- لا شيء ...أنتي ماذا تريدين؟
- علينا الخروج من هنا
- بالتأكيد سنخرج ولكن ما الذي يقلقك هكذا؟؟

- استيقظت علي صوت رجال بالخارج فنظرت من النافذة فوجدتهم حراس وكانوا يتحدثون عن أشياء غريبة لم أستطع فهمها ولكن علي ما أذكر تحدثوا عن قربان وإينوس وكاسندراو.....

يوسف مقاطعًا: مهلًا مهلًا، هل تجيدين اللغة اليونانية

- لا
- إذا كيف فهمتي أنهم يتحدثون عن قربان
- كانوا يتحدثون العربية!
- أخبرتني بالأمس أننا في إحدى بلاد اليونان القديمة والآن تقولين أنهم يتحدثون العربية فكيف هذا يا نابهة عصرك!!؟
- لا أعلم ولكنني واثقة من أننا بإحدى بلاد اليونان وواثقة أيضًا أنني سمعتهم يتحدثون العربية
- لا أقصد تكذيبك ولكن الأمر محير
- ربما لأنني كنت أقرأ بالعربية وليس باليونانية
- لا عليكي..... هيا لنخرج

تقدم يوسف وأطل برأسه من الباب ليجد الطريق خاليًا فخرج وتبعته ليليان خائفة تترقب فاتجها إلى الشارع الرئيسي الذي تحول إلى أحد شوارع نيويورك وكأن هناك عيدًا بالمدينة، وأثناء سيرهما سمعا أحد الحراس يناديهما :هاي... أنتما!!!

ليليان بصوت هامس: الحارس يقصدنا نحن!!!

- اتبعيني ولا تلتفتي ورائك لأنهم إن امسكوا بنا سنقع في مشكلة

ما إن أنهي يوسف كلماته حتي أعاد الحارس ندائه وهو يهرول نحوهما: أيها الغريبان توقفا

ليليان بخوف: ماذا سنفعل؟؟ إنه يلاحقنا

يوسف وهو يزيد خطواته سرعه: بالطبع سنهرب وعليكي أن تجري بأقصي ما لديكي من سرعة وحاولي أن تكوني بمحاذاتي واحذري أن نفترق... هيا

وبالفعل فرًا هاربين فلم يكن بيدهما حل سوي الهروب وما كان الهروب أبداً جبن في معركة الخسارة فيها مؤكدة وإن كان فلا بأس بقليل منه حتى تستلذ بشجاعتك في جولة قادمة فلا لذة لشيء لم تذق لنقيضه طعمًا.

إستمر يوسف في عدوه ولحقته ليليان وإن كان هو أسرع منها.

دخلا العديد من الشوراع والأذقة ولم يكل الحراس من مطاردتهما ولكن ازدحام المدينة أعاق الحراس قليلًا فتمكنا من اللجوء إلى أحد الشوارع الجانبية دون أن يلحظهما الحراس ولكن ليليان تعبت وأنهكها الجري فتوقفت بجوار أحد المنازل واستندت علي نافذته وبجوارها يوسف يراقب الطريق: ليليان علينا الإسراع وإلا قضي أمرنا

ليليان بأنفاس متقطعة: تعبت ولا يمكنني الإستمرار وأظن أنهم أضاعونا ولن يلحقوا بنا إلى هنا

- وإن أضاعونا الآن فبعد قليل ستبحث المدينة بأكملها عنا

مضت أقل من دقيقة وخرجت من المنزل فتاة عشرينية حسناء ممشوقة القوام بوجه مستدير وعينين رماديتين وشعر أسود ناعم لامع يصل إلى

عجزها: مرحا... لا تخافا فقد سمعت حديثكما من النافذة وبإستطاعتي مساعدتكما

وقف كل من يوسف وليلياان مسبوهين؛ أما يوسف فقد كان يفكر فيما عليه فعله، أيصدق الفتاة ويثق بها؟ أم يكملًا طريقهما هاربين،وأما ليليان فقد وقفت مسبوهة وعيناها معلقة بالفتاة (تبارك ربي أحسن الخالقين... أين أنا من هذا الجمال)

لم تجد الفتاة ردًا منهما فتابعت: أنا كاسندرا حسناء هيلاس[1] لهذا العام.

* * * *

[1] هيلاس :مدينة يونانية قديمة كانت تابعة لاسبرطة وزوجة حاكمها هيلين كانت عاشقة للأمير باريس إبن الملك باريام حاكم طروادة وهربت معه مما تسبب في حرب ضروس استمرت عشرة أعوام بين اسبرطة وطروادة (الالياذة)

تحت أشجار الصنوبر والشاهبلوط بعيدًا عن هيلاس أجتمع الرفيقين وكان لابد أن يكون اجتماعهما سرًا، فبادر أجاكس

(شاب ثلاثيني قوي الشكيمة طويل القامة مقارنة بأقرانه من بني قومه):

مرحا بك يا أخي

أجابه اوليسيز وعلي وجهه ارتسم الحزن: مرحا بك يا أجاكس

- أراك مهمومًا!! ألا يجدر بك أن تكون أكثر بأسًا مما أنت عليه؟؟
- زادت حيرتي يا أجاكس فإما مقتول أنا وإما هي، وانا لن أدعهم يضحون بها.... اللعنة عليهم وعلي آلهتهم
- لا تقلق كلاكما سينجو وسآخذكما إلى شاطئ الهلنبست ومن هناك ستبحران إلى آثينا وتكملا زواجكما وبقية حياتكما هناك
- كيف؟؟
- لدي خطة ولكن نحتاج من نثق بهم ليساعدونا
- وما هي؟؟
- لا تشغل بالك بها الآن، كل ما عليك هو الذهاب إليها ليلًا وإخبارها أن منصة الذبح ستقام بعد أسبوع من الآن وعليها الاستعداد للهرب في أي وقت

- حسنًا أراك لاحقًا
- أوليسيز كن حذرًا فهناك غريبين قد تسللًا إلى المدينة صباحًا والحراس في كل مكان وإن رآك أحدهم بجوار منزلها حتمًا سيقضي عليك.... هيا أذهب فليساعدك زيوس[1]

أوليسيز وقد بدي عليه اليأس فقال بنبرة ساخرة: زيوس لن يساعد أحد ولو أراد لما ترك ڤينوس[2] تحل لعنتها علينا

- دعك من ڤينوس ولعنتها الآن وأفعل ما أمرتك به

* * * *

استقبلت كاسندرا يوسف وليليان بمنزلها وكان أكثر رقيًا ويحوي الكثير من الأثاث علي عكس سابقه .

اكتفي يوسف بإخبارها أنهما غريبين عن هذه البلاد وأنهم اضلا طريقهما فوصلا هنا ولكنها كانت أذكي من أن تصدق ما قيل لها فتابعت مراوغتها: لكنني أعرف كل البلاد المجاورة فقد سبق وزرتها مع والدي أثناء تجارته فمثلًا زرت إيثاكا واسبرطة وجزيرة كيت وطروادة.... أم أنكما من أثينا

راود يوسف الشك من إلحاحها الشديد حول معرفة حقيقتهما فبادرها قائلًا: لسنا من أي واحدة منهن فكما أخبرتك نحن من بلد لم تسمعي عنه من قبل.

---

[1] زيوس كبير الآلهة لدي اليونانين وسيد البشر وموطنه الأصلي جبال الأوليمب.

[2] ڤينوس آلهة الحسن والجمال لدي اليونانيين وهي إحدى بنات زيوس

كاسندرا باسمة: لا بأس لن ألح عليكما أكثر من ذلك فعلي كل حال يبدو هذا علي ثيابكما فأنا لم أرها في أي بلد من قبل ولكن علي الأقل أخبراني باسميكما

ليليان :أنا ليليان وهو الطبي... يوسف مقاطعا لها: يوسف... أنا يوسف كاسندرا : أهلا بكما

ليليان : أهلا بك..... هل تعيشين وحدك يا كاسندرا

بدي على وجه كاسندرا الحزن فأجابتها وعيونها مغرورقة بالدمع : كنت أعيش مع عائلتي ولكن منذ تم إختياري كحسناء هيلاس وأنا أعيش بهذا المنزل وذلك حتى يحين موعد الذبح

ليليان: عن أي ذبح تتحدثين!!؟؟وهل كل الحسناوات يفعل بهن هذا؟؟

- لا توجد أكثر من حسناء واحدة ويتم اختيارها كل عام من بين عذراوات هيلاس ومن يقع عليها الإختيار يتم إحضارها إلى هنا وتمنع من مقابلة أحد فقط يمر عليها حارس يوميًا ليحضر لها الطعام وهذا حتي يحدد الملك موعد تقام فيه منصة الذبح وصباح اليوم التالي تزين الحسناءوتحتفل المدينة بها ويباركها أهلها والملك وزوجته ثم تذبح مع غروب الشمس أمام هيكل ڤينوس

شهقت ليليان ووضعت يدها على فمها من هول ما سمعت وقد لمع الدمع بعينيها: أي أنك ستذبحين!؟؟

- نعم

لم تتمالك ليليان نفسها فأجهشت بالبكاء وقالت بصوت متهدج: ولما؟؟ ألأنك حسناء!!؟؟

- هذا هو قانون هيلاس... تذبح الحسناء كقربان لڤينوس إلهة الحسن والجمال وإلا تحل لعنتها علي المدينة بأكملها
- أي آلهة تلك التي تجعلكن تذبحن كما الخراف!!؟؟
- هذا قانون يطبق منذ عشرين عامًا وتم تطبيقه بعد إنتصار اسبرطة وما حولها علي طروادة ولأن فينوس كانت بصف الطرواديين أرادت الإنتقام لهم ولهذا إن لم يقدم لها القربان كل عام فستحل لعنتها علي الجميع
- وهل أنتي راضية بهذا؟
- قبل ولادتنا لم نوسأل إن كنا نريد المجئ أم لا وعندما يحين موتنا لن نوسأل إن كنا نريد الرحيل أم لا ولهذا لا يهم رضانا من عدمه لأن الأمر محسوم وبالمثل ما نمر به في بعض الأحيان، نجد أننا مغلوب علي أمرنا ولا يجدر بنا سوي الرضا وإن كان زائفًا ثم التنفيذ وهذا ليس لأننا ضعاف ولا نقوي على الإعتراض، ليس لخوفنا من العواقب بل لأن الأمر يتعلق بمن نحب وعندما يتعلق الأمر بمن نحب لا بأس بأن نكون كبش الفداء

ليليان :لكن يا كاسندرا.....

يوسف مقاطعًا لها: ليليان!!...كفي

- ألم تسمع ما قالت؟

شعرت كاسندرا بتوتر الأمور بينهما فأرادت الإنسحاب وترك مساحة لهما كي يتحدثا بأريحية: استئذن منكما... سأعود بعد قليل

يوسف: تفضلي

خرجت كاسندرا وتابع يوسف حديثه: إنها راضية بمصيرها فما الذي تحاولين فعله!!؟

- أي مصير هذا الذي ترضي به!!؟وأي مجنون الذي يرضي بذلك؟؟وماذا عن أحلامها وأحبتها الذين تتحدث هي عنهم

.....صمت يوسف فتابعت ليليان باكية: لن أدعها تذبح فأي ذنب اقترفت؟؟ هل كان خطئها أن ولدت حسناء!!؟

- هي ستذبح لتنقذ مدينتها من لعنة الآلهة من وجهة نظرهم، أما نحن فنذبح ونقتل دون أن يعلم المقتول فيما قتل ولا القاتل لما قتل، آلاف الأطفال يموتون جوعًا..... هل لكي أن تتصوري هذا!! يموتون جوعًا لانهم لم يعثروا حتي على بقايا طعامنا، سادت الفرقة بيننا فأصبح الأخ يقتل أخاه من أجل لقمة عيش لو إقتسماها لأغنت كليهما، فقط افتحي شاشة التلفاز ستجدين مئات القنوات الإخبارية ما بين مؤيدة ومعارضة يختلفون في الآراء والمبادئ وطريقة التقديم وربما الدين ولكن تبقي الأنباء العاجلة واحدة وهي مقتل العشرات وإصابة المئات والأسباب قصف هنا واستهداف هناك ومناوشة بين هؤلاء ومطاردة لأولئك،أصبحت الفتن تدس لنا بين ذرات الهواء التي نستنشقها كي نأكل بعضنا وكأننا في غابة ليس البقاء فيها للأقوى بل للأكثر وحشية ومكرًا لأن الأقوى ستجتمع الثعالب حوله وتنهش لحمه، ولهذا أنا آسف لأنه ليس علي االشعور بالشفقة من أجل فتاة وهمية من صنع خيالك، وإن كان هذا حدث بالفعل في زمانهم فأنا أرى أنهم يستحقون كل التقدير والاحترام لأن القتل عندهم لم

يكن إلا في ساحة الحرب وساحة الحرب ما كان لقدم أن تطأها إلا للدفاع عن الأرض ضد الغاصب .

لم تجد ليليان سوي الصمت إجابة بليغة لما قاله يوسف، وما هي إلا لحظات وعادت كاسندرا باسمة: أعددت طعامًا لأجلكما هل احضره؟ أم ترتاحا أولًا

بادر يوسف بالرد سريعًا: لا.... لسنا بحاجة إلى الطعام فقد أكلنا قبل وصولنا إلى هنا مباشرة.. ثم تابع قائلًا: لكن لدي رجاء منك إن لم يزعجك هذا!!!

- تفضل ..مر ما شئت
- نريد ثيابًا كثيابك لليليان حتي لا يتعرف علينا أحد عند خروجنا من هنا... ولا بد من وشاح للرأس أيضًا فوشاحها هذا يبدو مميزًا ومن السهل التعرف عليها به
- حسنًا سأحضر لها ثوبًا وأنت أيضًا سأحاول تدبر الأمر وإحضار ثوب لك
- شكرًا

خرجت كاسندرا مرة أخرى فعقدت ليليان حاجبيها وتحدثت بصوت هامس ونبرة لوم: لما أخبرتها أننا لسنا بحاجة إلى الطعام، أنا جائعة ومنذ مجيئي لم آكل شيئًا سوي بعض الثمار

- هل أكلتي هنا!!؟؟
- نعم

يوسف محذرًا ليليان ومؤشرًا لها بسبابته: لا تأكلي شيئًا اخر

ليليان وقد علا صوتها وكأنه سيحرمها الحياة: وما المانع في هذا!!؟أم يفترض بي أن أنام عندما أشعر بالجوع!؟؟

يوسف صارخًا: لا تجادلي كثيرًا وافعلي ما آمرك به وليكن بعلمك إن أكلتي شيئًا من هنا فلا خروج لنا

ليليان ساخرة: يبدو أنه في كل الأحوال لا خروج لنا من هنا ولهذا لن أدع معدتي العزيزة خاوية

- عندما تشعرين بالجوع أصبري قليلًا وستجدين هذا الشعور يزول

ليليان بانفعال : الله المستعان.... يزول الجوع دون طعام!!!ولعل النعاس يزول دون نوم والتعب دون راحة... ألا يمكن يا حضرة الطبيب أن أفيق من هذا الكابوس دون نزع الاقطاب!!؟؟

- سيحدث ولكن عندما تكفين عن الصراخ والتصرف كما الصغار
- ألهمني الصبر يا رب..... متي سنرحل من هنا
- ربما ليلًا ولكني لا أعلم إلى أين سنذهب.
- لن أذهب من هنا دون مساعدتها فلا طاقة لي لاتحمل عذاب شخص آخر يريد مساعدتي فأعطيه ظهري

عادت كاسندرا ومعها الثياب فأعطتها ليليان.

* * * *

كاسندرا

حل الظلام علي المدينة وعم الهدوء وقد كانا يومًا جيدًا بالنسبة لي فقد وجدت من يؤنسني وخلال هذا الوقت القصير أحببت ليليان كثيرًا فهي فتاة رقيقة طيبة القلب وإن كانت متهورة بعض الشيء،أما يوسف فهو أكثر منها ذكاءً وغموضًا كما أنه عصبي إلى حد ما،رغم صدقي في كل ما أخبرتهما به إلا إنني متأكدة أنه لم يصدقني وربما لم يثق بي ولهذا لم يكن عليا الوثوق بهما أيضًا فلديهما ما يخفيانه

عندما جلست أتناول طعامي بعد أن رفض يوسف الطعام مرة أخرى ورأيت هذا غريبًا فكيف لهما البقاء يومًا بأكمله دون طعام، ولفت انتباهي أيضًا رفض ليليان للطعام أمام يوسف ولكن عندما دخلت معي الغرفة راقها الطعام فتناولت منه قليلًا معللة ذلك بأنها لا تشعر بالجوع وطلبت مني ألا أخبر يوسف بذلك، ورغم غرابة الأمر إلا أنها أضحكتني كثيرًا فمنذ أن رأيتهما وأنا أشعر أنهما رجل وابنته، فهو يملي عليها أوامره وهي تنفذ علي مضض مما أكد لي أن بينهما سر يخفيانه

وبعد أن أنهيت طعامي أراد يوسف الرحيل ولكن قبل أن يرحلًا سمعنا طرقًا خفيفًا علي باب المنزل فطلبت منهما الإختباء رغم معرفتي أن الطارق هو أوليسيز لا غيره ولكنني فضلت ألا يعرفا ذلك خشية أن يغدرًا بي، وبعد أن فتحت لاوليسيز وسألته عن حاله خرج يوسف وتبعته ليليان فعلى ما بدي أنه أيضًا لم يكن يثق بي ولهذا تنصت لحديثي مع أوليسيز وخرج عندما علم أنه صديق. تفاجئ أوليسيز بوجودهما وبادرني قائلًا : الغريبان!؟؟؟

- نعم هما

أوليسيز وهو ينظر ليوسف وليليان بتمعن ثم عاود نظره لكاسندرا: لكنك تعرضين نفسك للخطر!

كاسندرا: لم أستطع تركهما للحراس

أوليسيز موجها حديثه ليوسف: من أي البلاد أنتما؟؟؟

بادرت كاسندرا مازحة سريعًا بالرد: إنهما من بلد غريب لم نسمع عنه من قبل

أوليسيز: وهذا البلد ليس له أسم!؟

يوسف: بل له مئات الأسماء

أوليسيز: ولما أتيتما إلى هنا

يوسف: ضللنا طريقنا فوصلنا إلى هنا

أوليسيز: كلامك غير مقنع يا رجل ولكن لأنكما ضيفي كاسندرا علي احترام رغبتكما في كتمان هويتكما ومرادكما..... والآن عليكما الرحيل من

هنا لأن هذا المكان خطر عليكما وعلي كاسندرا فالجنود يبحثون عنكما في كل مكان

كاسندرا: هنا أكثر أمانًا لهما يا أوليسيز فأنت تعلم أنه ما من أحد يجرؤ علي تفتيش منزل الحسناء

أوليسيز بسخرية: الحسناء!!...ستقام منصة الذبح بعد أسبوع من الآن يا كاسندرا

ليليان : يا إلهي بعد أسبوع!!!

- نعم

ليليان: كاسندرا لن أسمح لهم بإيذائك أبدًا... أسمعي أنا لدي فكرة

أوليسيز: وما هي؟

ليليان: هل يمكن أن تذبح فتاة أقل جمالًا من الحسناء التي وقع عليها الإختبار

أوليسيز: لا.... الأجمل فقط وإلا لن تقبل ڤينوس بالقربان

ليليان: اذا سأرتدي أنا ثياب كاسندرا وأصعد إلى المنصة بدلًا منها بينما تهرب هي ومن ثم سيكثر الهرج في الساحة واستطيع أنا الهرب وإن لم أستطع ففي كل الأحوال لن أذبح فأنا أقل منها جمالًا

يوسف وقد استشاط غضبًا: ومن قال هذا؟

وجه ثلاثتهم عيونهم صوب يوسف لغضبه السريع الذي لا إنذار قبله، فتدارك هو الأمر سريعًا وتابع قائلًا: أقصد ما أدراك أنهم سيتركونك حينئذ؟؟

ليليان: سأحاول الهرب

يوسف غاضبًا: خطة فاشلة ورجاءً لا تتحدثي مرة أخرى
أوليسيز: حسنًا اهدئوا قليلًا وطالما أنكما تودان المساعدة فلا بأس أجاكس لديه الخطة
يوسف: ومن يكون أجاكس
- إنه صديقي وهو الذراع اليمني للملك
- وما هي الخطة!!؟؟
- حاليًا أنا لا أعلم ولكن يمكنك القدوم معي الآن وسنترك الفتاتين هنا
- إلى أين سنذهب؟؟
- سنقابل أجاكس
- وهل سيكونان بخير
- نعم لا تقلق
- وماذا عن المدينة بالخارج أهي هادئة كالليلة السابقة أم مزدحمة
- إذا أنتما هنا من الأمس؟
- نعم
- على كل حال لا هذه ولا تلك فبالأمس كان هناك احتفالًا بالمولود الجديد للملك في ساحة القصر ولهذا خلت المدينة وكانت هادئة أما اليوم فلا، مع ذلك ليست مزدحمة أيضًا كما في الصباح
- لدي سؤال آخر!!!
- تفضل
- بالأمس كان هناك شارع كل منازله مظلمة علي عكس باقي المدينه.. لما؟

- تقصد الشارع الخاص بالتجار والرحالة! منازل هذا الشارع لا يسكنها أحد من أهل المدينة فهي للتجار القادمين من البلاد المجاورة أو البعيدة وحسب وبالأمس غادر الجميع بعد أن عرضوا بضاعتهم لهذا لم يضاء الشارع، كما أن مراسم الذبح لا يسمح للغرباء حضورها ولهذا فإن هيلاس بأكملها قد تبحث عنكما غدًا
- حسنًا يمكننا الذهاب
- سأذهب أولًا وأحضر لك ثيابًا غير هذه

ذهب أوليسيز وفي أقل من نصف ساعة عاد ومعه الثياب فبدل يوسف ثيابه وهم بالذهاب وقبل رحيله أراد الاعتذار من ليليان التي صمتت ولم تنطق ببنت شفة منذ أن صرخ بوجهها، ولكنه قرر الذهاب دون إعتذار فما كان عليها التفوه بما لا تدرك نتائجه

* * * *

أجاكس

كنت بجانب بنلوس وبوليكسينا أسامرهما كي ينامًا وبعد أن أغمضا عيونهما سمعت طرقًا على الباب ففتحته هيكوبا زوجتي ولحقتها أنا فوجدت شابين ملثمين أما أحدهما فعلمت أنه أوليسيز من عينيه وأما الآخر فبدي لي غريبًا فقد كان ضعيف البنية قصير القامة مقارنة بنا ولم يمضي كثيرًا حتي كشفا لثامهما وسمحت لهما بالدخول، وصنعت لنا هيكوبا الشراب والذي رفضه الغريب بشدة وبعد أن تعرفنا وعلمت أن أسمه يوسف أخبرني أوليسيز أنه أحد الغريبين المتسللين للمدينة وأن

الآخر فتاة وتمكث بمنزل كاسندرا. كان يحتم علي إلقاء القبض عليه بحكم أنني قائد الحراس ولكن ليس من شيمتي الغدر وخاصة إن كان شخص أمنني علي نفسه،كما أن أوليسيز أخبرني أنه يثق به وأنه سيساعدنا في تهريب كاسندرا وكان هذا سببًا كافيًا لأتغاضى عن كونه غريب فمن يمد يد العون لأوليسيز إنما قد مدها لي أيضًا.

أوليسيز: ماذا سنفعل يا أجاكس

أجاكس: غدًا مساءً ستحضرا الفتاتين إلى هنا وستبقي كاسندرا هنا وأنت ويوسف ستذهبان للميناء وتتحسسا أمر السفن الذاهبة إلى آثينا

- وماذا إن كشف أمرنا
- كيف يكشف أمرنا إن لم نكشفه نحن، لن يفتش أحد منزلي فأنا أول من سيبحث عن كاسندرا... يكفي فقط أن تختفي أنت ويوسف عن الأنظار فكلاكما سيكون مطلوب القبض عليه وخاصة أنت بعد أن يكتشف الحراس أمر اختفاء كاسندرا

أخبرتهم بما علينا فعله في صباح اليوم التالي وطلبت منهما المبيت عندي حفاظًا عليهما فغفي أوليسيز سريعًا لأنه كان منهكًا، وجلست أنا ويوسف سويًا نتسامر فحكي لي الكثير عن بلاده وقوانينها، بينما حدثته أنا عن بلادنا وعن الحروب الدامية التي استمرت عشرة أعوام بيننا وبين الطرواديين وأعجبتني آرائه حول الحروب وإدارة البلاد وأدركت أنه واسع العلم والمعرفة

* * * *

يوسف

استمتعت كثيرًا بحديثي مع أجاكس وفهمت من خلال حديثه أنه يكره الحروب التي تزهق الأرواح وتحيل الأخضر إلى يابس، وبدي أيضًا شديد التعلق بابنته بوليكسينا وابنه بنلوس.

بعد أن أنهينا حديثنا خلد هو إلى نومه، أما أنا فجافاني النعاس،فقد كنت قلقًا جدًا علي ليليان وخشيت أن يكشف أمرها فأعود ولا أجدها وكم شق علي صراخي بوجهها.. ولكن ما الذي كان يجدر بي فعله إن كانت لا تعي ما تقول.... هل كان علي إخبارها أنها أجمل من حسنائهم تلك!؟فيحرمني الله منها!!! ويشهد الله أنني ما رفعت عيني بها يومًا متعمدًا وأنني وإن خفت عليها من الجميع فأولهم نفسي

أحبك وسأبتعد عنك

أحبك وسأتجنب النظر لعينيك

أحبك وسأتجاهل دقات قلبي عندما يذكر اسمك.

ملاكي علي الأرض أنت وسأستعيذ من الشيطان إن جولت بخاطري فأنا وإن كنت أحبك فحبي لخالقك لا يضاهيه حب فإن شاء جعل من حقي تبديل ال(س)ب(لن) وإن لم يشأ حتمًا سيمحو هو ما قبل ال(س)

* * * *

كاسندرا: ليليان لما أراكي حزينة

- لست حزينة
- إذا لما وجهك عابس؟ أ لأن يوسف صرخ بوجهك!؟

- لا فهو لا يهمني
- لا يهمك!!!
- نعم لا يهمني
- ما الذي يربطكما؟
- يمكنك القول أننا أقرباء
- فقط!!؟
- وهل من المفترض أن يكون هناك شيء آخر؟؟
- لا أدري
- وماذا عنك أنتي واوليسيز؟؟
- إنه خاطبي وكان من المفترض أن يقام عرسنا بعد شهر من الآن
- ولما لم تستعجلًا حفل زفافكما وتقيمانه قبل أختيارك كحسناء؟
- هذا ما كنا سنفعله ولكن لسوء الحظ كان اوليسيز بجزيرة كيت ولم يستطع الوصول باكرًا.

* * * *

يوسف

استيقظت صباحًا من غفوتي فوجدت أجاكس وأوليسيز قد استيقظا قبلي فطلبت قدر ماء من أجاكس وتوضئت وأديت صلاتي وبعد انتهائي، حضرت زوجة أجاكس الفطور فرفضت تناوله ولكن بعد إصرار أجاكس وأوليسيز تناولت بضع لقيمات ثم بدأت بمراوغتهما بحديثي عن الصلاة وأنها الطريقة التي نتواصل بها مع إلهنا.

وبعد انتهائهما من تناول الطعام ذهب أجاكس إلى عمله وبقيت أنا وأوليسيز معًا طيلة اليوم ولم أجد أثقل من هذا اليوم على قلبي فقد كنت أشعر أن الوساوس تنهش كل من قلبي وعقلي، وعندما حل المساء عاد أجاكس من عمله وقد كان متعبا للغاية فهو من أشرف بنفسه علي البحث عني وليليان، وحينها أدركت أن الصديق الذي يلقيه القدر في طريقك وأنت في أشد أوقاتك قسوة هو صديق معدنه نقي؛ لا تصيبه الأيام بالصدأ ولا داعي لطلائه بالزيف كي يبقي لامعًا، فأجاكس شخص باطنه أفضل من ظاهرة، دائمًا يحاول إظهار الجانب القاسي منه بحكم عمله.

انتظرنا حتي عم الظلام ولجأ الناس إلى مضاجعهم وتسللت أنا وأوليسيز إلى منزل الحسناء لإحضار ليليان وكاسندرا، وعندما وصلنا طرقت الباب ففتحته كاسندرا ولم أرى ليليان معها وبينما كنت أسأل كاسندرا عنها وجدتها تخرج من إحدى الغرف فشعرت أنهم صبوا ماء ثلجًا علي قلبي.

هممنا بالذهاب فتقدمت أنا وأوليسيز وخلفنا ليليان وكاسندرا وجميعنا ملثمين و إلى أن وصلنا لمنزل أجاكس وخلدناا إلى النوم لم أسمع ليليان تنطق ببنت شفة فأيقنت أنها لا زالت غاضبة.

في صباح اليوم التالي استيقظنا باكرًا لينفذ كل منا مهمته، فذهب أجاكس إلى عمله وليأتينا بالأخبار وإن كان حامل طعام الحسناء قد أدرك اختفائها أم لا، بينما ذهبت أنا وأوليسيز مغادرين المدينة ومتجهين إلى شاطئ الهلنبست لنتحث أمر السفن المغادرة إلى أثينا، فعلمنا أن هناك سفينة ستبحر بعد خمسة أيام، وأثناء عودتنا رأي أحد الحراس اوليسيز

وقد كانوا يعلمون أنه خاطب الحسناء،فأسرع خلفنا يأمرنا بالتوقف وما هي إلا لحظات ورأينا العديد من الحراس يلاحقونا ففررنا هاربين وأثناء عدونا افترقنا دون قصد منا ولاحق كل منا بعض الجنود.

لم أكن أحفظ شوارع المدينة فكنت أتجه يمينًا ويسارًا، وأخرج من هنا لأدخل هناك حتي زاغت أبصار الحراس فاستطعت الإفلات منهم وعندما غزا الظلام المدينة وضعت لثامي وتسللت حتي وصلت إلى منزل أجاكس وكنت متعبًا وأنفاسي متقطعة فاستقبلني أجاكس بالسؤال عما حدث وعن اوليسيز، فصعقت عندما علمت أن اوليسيز لم يصل بعد، فأمر أجاكس زوجته هيكوبا بإحضار كأس من الماء وبعض الطعام فتملقت منهم بتعبي وقصصت لهم ما حدث معنا وعندما انتهيت بدأت كاسندرا نحيبًا لا نهاية له وكانت ليليان وزوجة أجاكس يهدئآن من روعها وطمأنها أجاكس بأنه سيفعل ما بوسعه ليخرج أوليسيز.

* * * *

ليليان

كنت حزينة جدًا لأجل كاسندرا فهي لم تكف عن النحيب، فدار حوار بيني وبين نفسي: ماذا لو كان الطبيب هو من قبض عليه وليس أوليسيز؟

- لربما أصبح حالي أسوء من حال كاسندرا...
- و لما أحزن عليه فهو لايعني لكي شيئًا إنه مجرد طبيب متعجرف خاطر بحياته حتي لا يقال عنه فاشل ودائمًا ما يملي عليا نصائحه ويصرخ بوجهي أمام الجميع ويفقد أعصابه سريعًا ثم يبرر ذلك بأنني السبب

- ورغم كل هذا أقول أن حالي سيكون أسوء من حال كاسندرا .
- يا لي من غبية!!ما شأني أنا يأخذونه أو يتركونه .....
- حسنًا إخرسي... لا أود سماع صوتك... لابد أن أحزن ففي كل الأحوال كما قال وإن كان غريبًا كالبقية فعلي الأقل هو الوحيد الذي يعلم من أنا وكيف أتيت وكيف سأخرج.
- إنني كاااذبة

قضيت ساعات الليل علي هذا الحال، أحدث نفسي وأجيبها وأبرر لها، فتلك هي أنا؛ إن حدث شئ ولم أستطع تفسيره تتجسد مني نسختان إحداهما تشبه أمي والأخرى تشبه زوجة أبي لو تمت الزيجة؛ أما أمي فتخبرني ما أود سماعه وأما زوجة أبي فتخبرني بالواقع وإن كان علقمًا.

عندما حل الصباح ذهب أجاكس إلى عمله بينما بقينا نحن ومعنا الطبيب بالمنزل وعندما عاد أجاكس أخبرنا أنه بالفعل ألقي القبض على أوليسيز وسيتم إعدامه صباح اليوم التالي في ساحة قصر الملك إن لم يدلهم علي مكان الحسناء وفي الحقيقة قد وقع علينا الخبر وقع الصاعقة فكلنا نعلم أنه لن يشي بمكانها وإن كان رأسه الثمن.

ازدادت كاسندرا بكاءً ووعدها أجاكس أنه لن يدع مكروهًا يصبه

* * * *

أجاكس

بعد معرفتي بما حدث لأوليسيز جلست مع يوسف لنفكر في طريقة لإنقاذه ومعًا استطعنا التوصل إلى خطة واحدة لا غير وأي خطأ صغير

بها قد يودي بحياة ثلاثتنا بل وحياة النساء وطفلي أيضًا، ولكن لم يكن باليد حيلة لهذا عزمنا علي تنفيذها وقد كنت قلقًا للغاية فأدرك يوسف ذلك: لما كل هذا القلق يا أجاكس ؟

- غدًا يا يوسف قد أستطيع إنقاذ أوليسيز ولكن ماذا سيحدث عندما يبلغ ولداي السابعة هل سأتمكن من حمايتهما!!؟؟
- وما الذي سيحدث لهما بالسابعة؟
- أحد قوانينا أن يتم فحص المواليد ومن ثم يتم الإحتفاظ بالأطفال الأصحاء والتخلص من الأطفال ضعاف البنية والمرضي بإلقائهم في العراء.

السليم يترك لتتم تربيته بمعرفة أسرته حتى سن السابعة ثم يتوجب على الأسرة بعد ذلك تسليمه للدولة ليتم تدريبه على الانتماء والإخلاص والعسكرية ويكون الذكر والأنثى على حد سواء حتي يشبا فينضم الفتي للجيش وتعود الفتاة لمنزلها كربة منزل ومحاربة بالوقت ذاته

- يا لها من قوانين قاسية!!! تتخلصون من الأطفال الضعاف والمرضي بدلًا من علاجهم؟
- أتعلم!!! كنت دائمًا محبًا لوطني وقوانينه حتي رزقت بولداي فأصبحت مبغضًا لها، دائمًا أخشي أن تكون بوليكسينا حسناء فتذبح أو يذهب بنلوس لحرب ويقتل..... لم دائمًا توجد حروب وقتل وذبح؟؟.....هل أوجدتنا الآلهة لهذا؟!..لتشاهد موتنا بطرق مختلفة!!؟؟ أم أنها أوجدتنا لنعيش بسلام ندافع عن أرضنا وعرضنا

إن تسلط عليهما احد..... لا لنفسد في الأرض ونحيل الأخضر إلي يابس والماء إلى دماء

- أما باستطاعة الملك منع ذبح الحسناء وإيقاف الحروب وإعلاء راية السلام؟؟
- بلى... بإمكانه تقديم القرابين من الحيوانات والذهب والفضة وكل ما هو ثمين إلي هيكل ڤينوس والتوسل لها وعندها قد تصفح عنا ولا تذبح أي فتاة
- ولما لا يفعل؟
- يخشي أن ينقص ماله فحاله حال الملوك يخشون علي عروشهم وأموالهم أما أبناء الشعب فمتوفرون بكثرة ولا بأس إن قل عددهم قليلًا.
- صدقت إنه حال الجميع إلا شرزمة قليلون وما لنا بهم من نصيب
- أتذبحون الحسناوات أيضًا!!؟؟
- لا... عندنا الأمر أكبر من ذلك بكثير، فنحن لا نفرق بين حسناء أو غيرها ولا كبير أو صغير.

الجميع يقتتلون؛ الملوك وأبناء الشعوب، هم في صراع دائم لا ينتهي العلم عندنا بلغ أقصاه فتجد طرق القتل متعددة، فمثلًا تكون في منزلك تلهو مع صغارك فيهدم المنزل علي رؤسكم وقد لا يهدم وتجد صغارك يختنقون من حولك فتحاول إنقاذهم أو إدراك ما يحدث لهم ولكن للأسف لن تستطيع لانك ستلحق بهم

- كيف هذا!!؟؟ أهي لعنة الإله؟؟

- إلهنا رحيم بنا يأمرنا بالسلام وإعمار الأرض، لا دمارها؛ ولكننا لم نتعظ من سابقينا وما حل بهم وكل منا أتبع هواه حتي عميت القلوب والأبصار فأصبحنا نتفنن في القتل والخراب باستخدام علمنا وهناك من أصبح ينافس قدرات الإله بعلمه، وعندما بلغت القلوب الحناجر وزاد الفساد في البر والبحر سلط الله علينا أضعف جند من أجناده فعجز أمامه العلم والعلماء وحتي الأسلحة الفتاكة،فأصبح الملوك الجبابرة يختبئون بجحورهم كما الفئران، فبأس الله يا صاح لا يفرق بين ملك ومملوك ولا غني و فقير ولا.... دولة عظمي ودولة دنيا.
- يبدو أنكم أسوء منا حالًا!!
- بكثير.... استئذنك أود الحديث مع ليليان قبل ذهابنا
- تفضل

خرج يوسف من غرفة أجاكس واتجه إلى الساحة الخلفية للمنزل حيث كانت ليليان تداعب صغار أجاكس وعندما رأته هيكوبا نادت صغارها فهرولًا إليها وتركا الساحة ليوسف وليليان التي أشاحت بوجهها بعيدًا عندما رأته ثم بادرت قائلة: هل من أوامر أخرى يا حضرة الطبيب!!؟

- نعم
- تفضل أسمعك

يوسف وقد وقف ينظر أمامه ليتابع بعينيه جمال الطبيعة التي لطالما عشقها: كلمة تقودنا إلى الجنان وكلمة تلقينا بالجحيم، لهذا قبل أن تتفوهي بتلك الكلمة فكري بنتاجها

- وهل هذا أيضًا ضروري حتي نخرج من هنا!!؟

- أظن ذلك..... وهناك شيئًا آخر.
- تفضل
- غدا سيتم إصدار الحكم على أوليسيز وسأذهب مع أجاكس علنا ننقذه...لا أدري ما الذي قد يحدث ولكن في كل الأحوال عليكي أن تتحلي بالقوة ولا تنتظري أحدًا لتتكئي عليه كوني سندًا لنفسك.. حافظي على هدوئك كي تسير الأحداث بتسلسل وكوني حذرة فلا تدعي أي أذي يصيبك فإن أصابك شيء هنا سينعكس بالسلب علي جسدك بالواقع ولهذا حافظي علي نفسك وإن لم أعد إياكي وأن يمسكوا بك فالموت هنا يعني توقف للقلب ومن ثم موت أبدى هنا وهناك.... كوني جادة أكثر فالوضع أخطر مما تتصورين وإن لم تفكري في نفسك فكري في جدك ووالديكي وكل من يهمهم أمرك.

إن اضطربت الأمور غادري سريعًا منزل أجاكس.. والآن صرتي تعرفين العواقب بشكل أوضح.. لم أكن أود إخبارك حتي لا تتوتري أكثر ولكن أصبح محتمًا عليكي إدراك ما نمر به كي تستيقظي من غفلتك وتتركي التهور والامبالاة علي جانب حتى تعودين إلى أحضان جدك وعندها تصرفي كما تشائين أما هيلاس فلا مكان بها للضعفاء

ليليان محدثة نفسها: (مغرور.. يوبخني بلباقة) ثم حدثته قائلة: كنت متهورة لأنني لم أكن أدرك كل هذا ولكن ماذا عنك!!؟؟... تدرك كل شيء ومع هذا أتيت حتي لايقال عنك فاشل! فماذا تعد هذا؟؟

لم يجبها يوسف فتابعت: إحقا أتيت لهذا السبب فقط؟

- ما أتيت لأجله يخصني أنا وحسب

- لا بأس أردت إخبارك أنك أكثر تهورًا مني لا أكثر.. وأعدك أنني من الآن فصاعدًا سأكون عصاي أتكأ علي نفسي متي ما أحنتني الظروف.
- جيد.. هذا ما أريده
- ولكن.. سأنتظر عودتك كي نعود إلي الديار معًا فأنا لا يهمني ما دفعك للقدوم المهم أنك هنا لإعادتي وحسب وبهذا لا عودة لي إلا وأنت معي سالمًا ....ثم تابعت بسخرية وعلى وجهها ابتسامة: فأنا لا أود أن يقول الناس عني تسببت في موت طبيب يهتم بصحة مرضاه... فهذا كلام أنا لا أرضاه.

يوسف باسمًا: سنعود إن شاء الله

أنهى يوسف حديثه مع ليليان ثم عاد إلى أجاكس وراجع معه تفاصيل الخطة مرة أخرى وعندما حل المساء خرج أجاكس من المنزل لأمر ما وبقي يوسف بالغرفة وحيدًا يفكر في احتمالية نجاح إنقاذ أوليسيز وماذا لو فشلوا في ذلك هل سيقتل حقاً وماذا عن أمه العجوز! لمن يتركها؟؟وكاسندرا كيف سيكون حالها؟

غرق يوسف في تفكيره بهم ونسي حاله

* * * *

- ونسير على شواطئ الآخرين كي نغرق في بحر النسيان؛ نغوص في همومهم كي تهون همومنا، ننصت لهم كي نتجاهل صرخات ذواتنا، تعلو ضحكاتنا على أتفه الأشياء لنتغاضي عن آاااهات قلوبنا، تواسي ألسنتنا الجميع ويصيبها البكم أمام شكوانا؛ تبكي أعيننا لأجلهم وتنسي أن داخلنا خرابا، نداويهم وجروحنا لم تذق للدواء طعمًا ...

حتي يصبح لحياتنا نهج نسير عليه؛ نتناسي ولا نستطيع النسيان، نتجاهل ولا نقوي على الإستمرار، نبتعد ولا يمكننا الذهاب، فهكذا نحن أمام الجميع قوة كامنة وأمام المرآة قلوب واهنة.

* * * *

في صباح اليوم التالي كان أوليسيز قد تعرض لأبشع أنواع العذاب كي يشي بمكان الحسناء، فكل شيء تغيره الإنسانية وتضع لمساتها عليه إلا عذاب ما خلف القضبان يبقي دائمًا كما هو؛ وحش كاسر بعينين حمراواتين ووصل ناباه العلويان إلى شفته السفلي ومن بينهما يسيل لعابه فيدرك السجين أن كل ما يملك من حياء وكرامة وجسد سينهش لا محالة.

رغم ما تعرض له أوليسيز إلا أنه لم ينطق بكلمة واحدة فأصدر الحكم بإعدامه في ساحة القصر وستشهد المدينة بأكملها إعدامه حتى يعلم من تراوده نفسه ما هو عقاب من يتجرأ على قوانين البلاد .

اشتدت حرارة الشمس وكانت منصة الإعدام قد جهزت وحضر الملك وكان مرتديًا طيلسانه وثيابه المرصعة بالذهب والفضة، حاملًا بيده اليمني صولجانه وعلي يده اليسري أجاكس حاملًا كامل اسلحته وكأنه متجهزًا لحرب ما، وكلاهما كان مترجلًا في العربة الحربية يقودها الحوذي وتبعهما الوزراء ومجلس الشيوخ.

توقف الموكب على بعد مسافة من المنصة ليكون أوليسيز راكعًا علي ركبتيه مكبل اليدين والقدمين ووجهه في الجهة المقابلة لهم أما عامة الشعب فهم

خلفه ووسط الحشود اندست فتاتان ملثمتان إحداهما تمسك بيد الأخرى بينما هي تبكي وتناجي الإله زيوس لينجي أوليسيز من بين أيديهم.

الملك: سأقضي على هذا الخائن بنفسي

أجاكس: لا يا سيدي لا تلوث يدك الطاهرة بدمائه الدنسه... دعه لي فهو لا يستحق أن يموت علي يديك

- إذا هو لك يا أجاكس، أقضي عليه برمية واحدة.

أمسك أجاكس قوسه وثبت سهمه وأغمض إحدى عينيه بينما الأخرى مصوبة تجاه قلب أوليسيز.

وعلى الطرف المقابل

كاسندرا باكية: ليليان!!أجاكس سيقتله!! خاننا أجاكس

- وأين يوسف؟

- لعله زج بالسجن

- لا أظن هذا فأنا واثقة أن هناك أمر ما

- لا يهمني... لن ادعهم يقتلونه

- تعقلي يا كاسندرا وإلا سنقتل جميعًا.

وبينما الجميع يشاهد في ترقب وأجاكس يستعد لإطلاق سهمه خرج من بين الحشود شاب ملثم وهرول سريعًا إلى المنصة فدار اشتباك بينه وبين الحراس وعم الهرج فرمي أجاكس سهمه علي عجلة فخر أوليسيز علي المنصة غارقًا في دمائه بينما رحل أجاكس مع الملك لحمايته بعد أن عمت الفوضي بالساحة ولم يعد المكان آمنًا له.

حمل الحراس أوليسيز وبعضهم ألقي القبض على الشاب الملثم الذي جال ببصره بين الحشود لتقع عينيه علي فتاة بوشاح مزركش وقد وضعت لثامًا علي وجهها فأيقن أنها هي، وكيف لقلبه أن يخطئها،فأومأ برأسه مطمئنًا لها في الوقت الذي كان الحراس يكبلون يديه،ثم إقتاده الحراس وذهبوا به ليزج بالسجن كصاحبه.

ليليان باكية: يوسف!! نعم كان هو .

كاسندرا صارخة: أجاكس يا ذنديق لما قلته؟!

ليليان وهي تكفكف دموعها: كاسندرا اخفضي صوتك.... هيا علينا الهرب من هنا سريعًا قبل أن يبحث عنا الجنود فأجاكس قد يرسل رجاله خلفنا.

كاسندرا باكية: وما فائدة حياتي إن لم يكن بها أوليسيز؟

ليليان: الإنتقام له يا كاسندرا

كانت كاسندرا في حالة اللاوعي بما يحدث فشدت ليليان على يدها واخذتها لتبحثا عن مهرب، فكلمات يوسف لها لازالت تتردد على مسامعها ولهذا قررت ترك دموعها وخوفها على جانب والتفكير بهدوء ليس خوفًا من اضطراب أمورها ولكن حرصًا على تنفيذ وعدها ليوسف بأنهما سيعودان معًا.

وبعيدًا عن الأنظار وازدحام المدينة التي عمت بالفوضي قادت ليليان كاسندرا إلى بستان الكروم الذي أكلت منه عند مجيئها وبالقرب من البستان أدخلتها كوخ صغير بدي أن صاحبه لم يأتي إليه منذ مدة، وبعد أن جلست ليليان بعض الوقت محاولة التخفيف عن كاسندرا أخبرتها أنها

ستذهب للتجول بشوارع المدينة علها تعلم شيئًا عن يوسف ووعدتها بالعودة.

رحلت ليليان وتركت كاسندرا خلفها تنوح على فقيدها، وتجولت بشوارع المدينة، وكانت تقف في الأسواق حيث تجمعات الناس وعند التجار فكان قتل أوليسيز وسجن الغريب حديث الجميع، وبحلول الظلام عادت إلى كاسندرا فوجدتها علي حالها فظلت تحدثها حتي غفت وأكملت هي تفكيرها في طريقة للوصول إلى يوسف وإخراجه من السجن وبعد تفكير دام طويلًا عزمت علي تنفيذ ما آلت إليه وفي الصباح الباكر أخبرت كاسندرا بما تنوي فعله ورحلت

* * * *

في أحد أبسط منازل هيلاس جلست امرأة عاقر قد صعر خدها من الكبر أمام التنور وقد اضطرمت نيرانه بأعواد الخيزران وأعلاه قدر يحوي طعامًا لم ينضج بعد، وعلي بعد مسافة منها يرقد زوجها المتعافي حَديثًا من مرضه، وعندما استيقظ من نومه بادرته قائلة بحنو: جيد أنك استيقظت يا بتركلوس فقد اعددت لك حساءً طيبًا

بتركلوس: طابت حياتك يا بينلوبي، ولكنني لا أشعر بالجوع

- ورغم هذا عليك تناول الطعام كي تصح وتعود لبستانك..... أم أنك لم تشتق له!!؟؟
- بلى اشتقت إليه كثيرًا وسأذهب إليه غدًا كي أرى إن كانت ثماره قد أينعت أم ليس بعد
- ماذا سنفعل ببقية المحصول الزائد عن حاجتنا؟؟
- كما نفعل كل عام..... سنعطيه لمن يحتاجه

بينلوبي بحزن: ليتنا رزقنا بولد يرثنا

- وما أدراك أنه كان سيعيش ليرثنا، ربما كان قتل في حرب ما فنعيش من بعده بقلوب متأججه، أظن أن زيوس كان رحيم بنا عندما حرمنا الولد

- أنت محق يا زوجي

* * * *

(لو كنا) كلمة نسجن بين حروفها فنبتعد عن (لو) ونخلق وهم (كنا) فنراه جميلًا ونعيش به وعلي حين غفلة نصحو من وهمنا فنجد (كنا) مسبوقة ب(لو)فيصبح واقعنا علقمًا وإن كان شهدًا فليتنا ندرك قولًا وفعلًا أن قاموس الواقع تحرقه كلمة (لو)

* * * *

أمام قصر شامخ بطوله وكيانه، قد وقف الرماة على أسواره في أتم الإستعداد، والحراس حوله شدت سواعدهم على السيوف، وقفت ليليان أمام بوابة يصل طولها إلى الأربعة أمتار وأمامها حارسين شداد غلاظ فور رؤيتهما لها تقدم أحدهما منها مؤشرًا لها برمحه كي تتوقف: ماذا تريدين؟؟

ليليان محدثة نفسها: الآن يا أجاكس سأستخدمك كما استخدمتنا

الحارس بصوت غليظ: يا سيدة!!!

- نعم
- قلت ماذا تريدين
- أنا جارية وقد ارسلني سيدي أجاكس للعمل بالقصر
- حسنًا انتظري

أمر الحارس بفتح الباب ثم همس لحارس آخر فذهب الحارس وعاد بعد فترة ليست بالقصيرة ولا بالطويلة ثم أخبر حارس البوابة بما أتى به وأثناء حديثهم كان قلب ليليان يدق كالطبول خشية أن يكشف أمرها أو يعلم

أجاكس بوجودها داخل القصر ولكن صوت الحارس فاجأها: يمكنك الدخول

تنفست ليليان الصعداء وتقدمت بخطوات مترددة إلى الداخل ومع آخر خطوة لها أغلق الباب خلفها ووقفت هي في زهول تام من جمال القصر الذي بدت أمامه كنملة ومرة أخرى عادت من شرودها على صوت أحد الحراس: تقدمي أيتها الجارية سآخذك إلى جلالة الملكة أولًا

ليليان بفزع لم تستطع اخفاؤه: جلالة الملكة!!! لما؟؟

- لما كل هذا الزعر؟؟

ليليان بتردد: لأنني لم يسبق لي أن قابلت الملكة ولهذا أشعر بالتوتر وحسب

- لا بأس... مقابلة الملكة أمر رسمي لكل الجواري اللاتي يعملن بالقصر فهي من تصرح بالموافقة.

تبعت ليليان الحارس ورأسها يتلفت في جميع الجهات فرأت العديد من الغرف والساحات الداخلية ورأت أيضًا العديد من من الخدم والجواري فقد كانوا يشبهون خلية النحل، وأمام أحد الأبواب توقف الحارس ودقه لتفتح إحدى الجواري فهمس لها وترك ليليان وذهب فتفحصت الجارية ليليان بعينيها قائلة: تعالي.. جلالة الملكة في انتظارك

تبعتها ليليان في صمت وقلبها يكاد يخترق ضلوعها ولكنها تناست قلبها ودقاته عندما دلفت لجناح الملكة الذي حسبته غرفة فقد كان غاية في الجمال والإبداع، توقفت ليليان أمام امرأة في أواخر العشرينات جملية

المظهر ترتدي ثوبًا سابري وعلى رأسها تاج مرصع بالياقوت وأمامها مهد به رضيع تغني له بصوت عذب.
انتظرت ليليان والجارية حتي أنهت الملكة غناؤها وأشرت للجارية لتأخذ الرضيع فانحنت لها الجارية ثم أخذت الرضيع وذهبت بينما جلست الملكة علي أريكتها ونظرت إلى ليليان قائلة: أأنت الجارية التي أرسلها أجاكس
ليليان: نعم أنا يا جلالة الملكة
- تبدين جميلة... ثم تابعت: لولم تكوني جارية لتم أختيارك بدلًا من كاسندرا
- هذا لطف منك يا جلالة الملكة
- حسناً أخبريني لم أرسلك أجاكس إلى هنا ولم يستخلصك لنفسه
- في الحقيقة ياجلالة الملكة مكثت عنده بضعة أيام ولكن غضبت زوجته فأرسلني إلى القصر
علت ضحكات الملكة ثم تابعت: هيكوبا غضبت!! كنت أحسبها عاقلة ولكن كيف طاوعها أجاكس وتخلي عن رقيقة مثلك
- الجمال.. كل الجمال نراه في وجه من نحب فقط يا سيدتي ولهذا لن يري أجاكس أجمل من زوجته
- أنتي محقة..... أخبريني من أين أنتي وكيف أصبحتي جارية
صمتت ليليان برهبة فتذكرت ما قالته كاسندرا عن البلاد المجاورة لهيلاس ثم قالت: أنا من إيثاكا يا سيدتي وكنت أعيش مع والدي التاجر وأثناء رحلتنا إلى جزيرة كيت خرج علينا قطاع الطرق فقتلوا والدي

وسلبوا بضاعتنا وفي الجزيرة باعوني لتاجر العبيد فمكثت معه أيام ثم اشتراني أحد الوزاء فمكثت بقصر كنوسوس[1] العظيم وأثناء زيارتنا لأثينا مرض الوزير ووهن وهاجمنا قطاع الطرق مرة أخرى واشتراني تاجر عبيد وأتى بي إلى هيلاس وهنا رآني أجاكس فاشتراني

صمتت الملكة ولم تعقب علي كلامها فشعرت ليليان بتوتر (يا إلهي!! لقد بالغت في معاناتي) اخرجها صوت الملكة من شرودها: كم مكثتي في قصر كنوسوس العظيم؟؟

- أسبوعين

الملكة بأسف: لا تحزني فهنا لن تشعري بالوحدة أبدًا... فقد أحسن أجاكس التصرف عندما أرسلك إلى هنا

شكراً جلالة الملكة

- هل تجيدين فنون القتال؟؟

- لا

- كنت متأكده واضح أنك كنتي مدللة أباك؟؟

ليليان بحزن مصطنع: نعم يا سيدتي

الملكة بحنو: لا بأس ستكونين جاريتي الخاصة من الآن فصاعدًا

- هذا لطف كبير منك لا أعلم كيف أشكرك

- لا داعي للشكر.. فقط أخبريني باسمك

---

[1] قصر كنوسوس: من أهم ما تم العثور عليه من مخلفات الحضارة اليونانية ويرجع العلماء تاريخه إلى القرن السادس عشر قبل الميلاد، ويمتاز بمساحته الضخمة مما يدل على حالة الرخاء والاستقرار التي كانت تسود جزيرة كيت في هذا الوقت.

- أندروناك يا جلالة الملكة
- أهلاً بك يا أندروناك

ليليان محدثة نفسها: سامحني يا رب على هذا الكذب فقد كنت مضطرة وغير شخصي أجبرتني الظروف أن أرتدي، فاستسلمت لها ورأيتني بنسيان جوهري أبتدي، فلما رآني الجميع وقد تبدلت سألوني... بمن تقتدي؟؟،فأجبتهم بابتسامة صفراء من الثغر تبدأ وبالثغر تنتهي، ولكن بقي السؤال برأسي عالقًا... فرجوت جوابًا به اهتدي، فعلمت أني مزعزعًا تلونني الظروف كما ينبغي، فهالني الجواب عندما أدركت أنني بالحرباء اقتدي، فهذا هو حالي وحالها إذا شعرنا بمعتدي، فعزمت على خلع رداء الظروف كي أسمو بردائي وأرتقي، وبشخصي أنا واجهتها فهزمتها بمبدأي حمل الطعام كما أمره سيده واتجه إلى طرقة مظلمة وموحشة، من بين حشاياها يخرج أنين المساجين.

وصل الحارس إلى الزنزانة المنشودة حيث أمره قائده، فقام بإدخال الطعام إلى السجين من أسفل الباب وهو يقول له بنبرة غامضة: أيها السجين تناول طعامك كاملًا هذه المرة ولا تترك به شيء فغدًا ستلقي مصير أوليسيز.

اقترب يوسف من الطبق وأخذه في صمت ثم عاد إلى مكانه وجلس يفكر كيف سيخرجه أجاكس من هنا قبل أن يصدر الحكم بقتله وأثناء شروده عاد على مسامعه ما قاله الحارس ففهم ما يرمي إليه، فأخذ يفتش الطعام حتى عثر على قطب حديدي حاد فأسرع تجاه باب الزنزانة محاولًا فتحه وبعد محاولات عدة استطاع فتحه ولكنه ظل واقفًا بمكانه يحدث نفسه:

كيف سأخرج الآن وهناك حارسين يقفان على البوابة الخارجية؟؟لن أستطيع الخروج إلا إذا قضيت عليهما دون أن يشعر أحد.... يا إلهي إنني أحلم فأنا بالكاد أصل إلى منكبيهما وهما لا يبدوان كالبشر..... لا لا لقد أصبحت سلبيًا جدًا فمنذ متى والقوة تقاس بالجسد!!! إنها تكمن بالعقل وحسب.... حسنًا سأخرج الآن، توكلت على الله .

تسلل يوسف وجال بطرقات السجن ليجده كالمتاهة فقرر مراوغة الحراس عن طريق أقرب طريقين يؤديان إلى البوابة الرئيسية، فأحدهم طريق مستقيم والآخر جانبي يلف زنزانته وخمس أخريات مجاورة لها، فدخل إلى الطريق الخلفي لزنزانته وتابع تسلله حتي وصل إلى باب أول زنزانة مجاورة للباب الرئيسي وبدأ بالطرق على بابها بالقطب الحديدي تارة ويده تارة أخرى حتى عم الهرج بين المساجين ووصلت أصواتهم إلى الحارسين فأتى أحدهم ليري ما الأمر وعندما أتى كان يوسف قد اختبأ خلف أحد الأعمدة فلم يتمكن الحارس من رؤيته بسبب الظلمة فهاجمه يوسف من الخلف وقام بطعنه بالقطب ليغرزه في جنبه فخر الحارس علي الأرض متألمًا وبينما بدأ الحارس بمنادة صاحبه الآخر فر يوسف إلى الجهة الأمامية لزنزانته حيث الطريق المستقيم إلى البوابة الرئيسية وعندما أتى الحارس ومعه حراس آخرين إلى الجهة الخلفية ليروا ما حل بصاحبهم، استغل يوسف الوضع وفر هاربًا خارج السجن ليضع لثامه ويتواري خلف المنازل ثم تابع سيره حتي خرج من المدينة حيث اتفق مع أجاكس مسبقًا.

وخائفًا أترقب أنا سرت،أسرع في طريقي ولا أدري أي ذنب اقترفت!!، وخشيت أن يكشف أمري وعلي ما لم أفعل أراني قد عذبت، ففررت منهم لما خفتهم ومن حريتي قد جردت، وبالعودة مرفوع الرأس يومًا قد حلمت، ومن انتظاري دهرًا كموسي لن أمل إن انتظرت.

بعيدًا عن هيلاس حيث ملتقي الرفاق تحت أشجار الصنوبر والشاهبلوط وصل يوسف بأنفاس متقطعة فوجد أجاكس يجلس بجانب أوليسيز بينما هو نائم وعندما رأى أجاكس يوسف قادمًا إليه تبسم قائلًا: فعلتها إذا!؟؟ ثم تابع حديثه: تبدو أقوى من ما ظننتك.

أجابه يوسف وأنفاسه متقطعة: أخبرتك سابقًا يا أجاكس، في أرضنا نعتمد على عقولنا أكثر من اعتمادنا على أجسادنا

قام أجاكس من مكانه وصافح يوسف ثم جلسًا: حمدا لله على سلامتك

علت ضحكات يوسف ثم قال: غريب!!! لم تقل حمدًا لزيوس

- لا أظن أن زيوس متفرغًا لك، انقذك إلهك لهذا هو من يستحق الحمد
- الحمد له في كل وقت وحين... ولكن ما الذي يفعله زيوس إن لم يكن متفرغًا لعباده؟؟

أجاكس ضاحكًا: لديه أبناء وحفدة، اما إلهك فواحد أحد كما تقول

ضحك يوسف ثم تابع قائلًا: كيف حال أوليسيز؟؟

- بخير..كويت له جرحه بالأمس
- متي سيتعافي؟؟
- لم يكن جرحه بليغًا فقد وصلت بالقرب من قلبه وحسب وليس قلبه ولهذا بعد أيام سيشفي تمامًا

- الحمد لله، كانت مخاطرة ولكن نجونا بفضل الله
- كيف خرجت أنت من البوابة الرئيسية
- استخدمت القطب الحديدي الذي دسه رجلك بالطعام وفتحت به الباب ثم استخدمته لمراوغة الحراس فاستدرجت أحدهم وطعنته به فأتي الآخرون لرؤيته وهربت أنا
- طعنت الحارس!!؟
- نعم ولكنه سينجو فأنا لم أرد قتل شخص يقوم بواجبه
- أحسنت صنعًا ولكنك لم تكن مضطرًا إلى طعنه فهما يعلمان بأمر هروبك وإلا ما خرجت هناك حيًا
- ماذا؟؟
- كما سمعت فكلهم رجالي وطوع أمري أضف إلى ذلك أي سجن هذا الذي يحرس بوابته الرئيسية حارسين فقط!!؟
- إذا كان الأمر كذلك فلما لم تهرب أوليسيز منذ البداية؟؟
- الأمر مختلف يا صاح، يوجد بالمدينة سجنين أحدهما شرق القصر والآخر غربه، أما السجن الشرقي فأنا المسؤول عنه وأما الغربي فالمسؤول عنه القائد يومايوس وهذا القائد يبغضني لقربي من الملك ولهذا كان من الصعب إخراج أوليسيز أما أنت فأردت أن تهرب من السجن رغم أنني أستطيع إخراجك حتي لا يشك أحد بأمرنا فربما هناك خائنين بين جنودي
- وماذا عن الحارس الذي طعنته؟
- لا تقلق سيكوي جرحه ويطيب بعد أيام طالما أنه ليس عميقًا

شرد يوسف وعاد إلى منزله حيث كان يجلس بجوار أمه فخرج عليهما سيف وأصابع يديه تتغلغل بشعره ليزيح عنه قطرات الماء العالقة به وهو يدندن فبادره يوسف مازحًا: أراك مغرمًا يا ولد!!هل لسعتك نيران الحب؟

سيف ضاحكًا: مغرم!!! لا لست أنا يا صاح، يقولون أن الكي بالنار بعد أيام يبرد أما الكي بالحب فكلها أيام ويقتل، وأنا لدي مستقبل ولا أريد أن أقتل الآن.

عاد يوسف من شروده علي نداء أجاكس: يوسف!!

- ماذا؟؟
- أراك شاردًا وتبتسم وحدك
- تذكرت شيئًا قاله أخي حول الكي بالنار
- ألك أخ؟؟
- نعم، سيف وتذكرني به عندما تناديني بيا صاح
- هل تعدني أخا لك؟؟
- بالطبع فأنت صديق وأخ لا مثيل له يا أجاكس
- إذا فلم لا تثق بي؟؟
- من قال أنني لا أثق بك!؟؟
- إلى الآن لم تخبرنا من أنت ولم أتيت؟؟ونحن لم نرد سؤالك حتى تخبرنا بنفسك
- صدقني لم أخبركم لأنكم لن تصدقوني وحسب وليس لأنني لا أثق بكم

- لم نري منك سوي الصدق فلم لا نصدقك
- إذا أتصدقني لو أخبرتك أننا من عالم يليكم بأربعة آلاف ومئتي وسبعين عامًا، وأننا وصلنا إلى هنا عن طريق آلة صنعتها فتاة تصغرني بخمس سنوات

أجاكس وقد بدي علي وجهه الحيرة: كيف هذا؟؟

- نحن نعلم أن حربكم مع طروادة كانت عام ألفين وسبعين قبل الميلاد وأنتم تقولون أن الحرب مضي عليها عشرون عام أي أننا الآن في عام ألفين وخمسين قبل الميلاد، ونحن في زماننا بعام ألفين وعشرين بعد الميلاد
- لم أفهم شيء، هل هذا يعني أننا متنا؟؟إذا فكيف تجلس معي واحدثك ونحن من أزمنة مختلفة؟
- صدقني الأمر معقد ويصعب شرحه فانسي ما قلته ولنكن الغريبين اللذين أضلا طريقيهما وليكن ما قلته لك سرًا
- سأفعل يا يوسف ولكن عليك أن تخبرني كيف هو العالم بعد مرور أربعة آلاف ومئتي وسبعين عامًا
- سأفعل إن شاء الله
- لدي رجاء آخر
- تفضل
- علمني كيف تناجي ربك فأنا أرى أنه أفضل من زيوس بكثير

يوسف ضاحكًا: حسنًا

قطع أوليسيز حديث يوسف وأجاكس بسعاله فوجداه يفتح عينيه ويستعيد وعيه فاطمئنا عليه وبعد أن تناول الطعام الذي أعده له أجاكس واستعاد بعضًا من قوته بدأ حديثه معهما: نجونا بأعجوبة فلو لم يغامر يوسف وويثير الهرج علي المنصة لما استطاع رجلك يا أجاكس أن يخبرني بأن أمثل الموت وعندها كنت سأحاول الهرب ولساءت الأمور أكثر

أجاكس :مضت يا أوليسيز فلا تفكر بها كثيرًا

أوليسيز: كيف هي كاسندرا؟؟

تردد أجاكس قليلًا وتغيرت ملامح وجهه: اسمعا... آسف لما سأقوله لكما ولكن عداني أن تتصرفا بعقلانية

يوسف: ماذا هناك يا أجاكس؟قل ما لديك

- كاسندرا وليليان ذهبتا بالأمس إلى ساحة القصر وشاهدتا ما حدث ولم يعودًا إلى المنزل

يوسف: بالأمس رأيت ليليان ومعها كاسندرا ولكن اعتقدت أنهما على علم بما خططنا له من زوجتك

أجاكس: أنا في الأصل لم أخبر زوجتي بشئ

- لكنك يا أجاكس أخبرتني أنك ستجعل زوجتك تتولي أمرهما
- وهذا ما فعلته أمرتها بمنعهما من الخروج من المنزل لأي سبب ولكنها لم تستطع فقد أصرا علي الذهاب

يوسف: ولما لم تخبرهن بالحقيقة؟؟هل كنت تعتقد أنهما طفلتان عندما يقال لهما لا تخرجا سينفذان الأمر في وضع كهذا؟؟

أجاكس: وهل كنت تعتقد أنت أن إحداهن ستوافق على تلك الخطة المجنونة، فما كانت هيكوبا لتسمح بالمخاطرة بحياتي وحياتها وحياة طفلينا ولا كاسندرا كانت لتوافق على احتمالية قتل أوليسيز وعلى يدي وأظن أيضًا أن فتاتك ما كانت لتسمح لك بتهورك هذا.

كانت آخر كلمات أجاكس كفيلة بأن يصمت يوسف بينما قلبه يدق كالطبول ومتسائلًا (هل حقًا ما كانت ليليان لتسمح بهذا؟؟) فتابع أجاكس: أخبرني ما الذي كان يجدر فعله في وضع كهذا؟؟

تدارك أوليسيز الموقف: حسنًا اهدئا ليس هذا وقت النقاش فيما مضى وانتهي علينا أن نبحث عنهما الآن قبل أن يقعا في مشكلة فالواضح أنهما اعتقدتا أنك قتلتني وغدرت بنا لهذا لم يعودًا إلى المنزل

- ربما ولكن لا داعي للقلق فأنا سأبحث عنهما بنفسي

يوسف: سأبحث عنهما معك

أجاكس: لا فأنتما ستعودان إلى المنزل ليلًا وأنا فقط من سيتابع البحث ولا تنسي أنك سجين هارب والعثور عليك مسؤليتي أنا لهذا إياك والتهور

وقف الختيار بتركلوس أمام بستانه يتنعم بجماله؛ فهبت نسمات ريدانة جعلت زهور الهندباء تتناثر حوله فارتسمت ابتسامة رضا علي ثغره وحمل الطعام الذي أعدته له بينلوبي وهم بوضعه في الكوخ لولًا أنه سمع صوت فتاة تنوح بالداخل: آه يا أوليسيز..... رحلت وتركت قلبي كما السماء في الليالي الغاضبة وعادت روحي إلى الماضي لتروي شوقها بكلماتك الحانية وشغفي للحياة كانت خطواته موازية لخطوات رحيلك

المسرعة، وستمر السنين ولا زلت لفراقك متألمة، فكأن حسني كان ابتسامة لك ونظرة لعينيك فاختفيا برحيلك فلم أعد سوي وردة ذابلة..... عد يا أوليسيز فحسنائك قد أهلكها فراقك ولن تقبل بها ڤينوس.

تيقن بتركلوس من ما سمع أن الفتاة هي الحسناء الهاربة فدخل الكوخ وعندما رأته كاسندرا هبت واقفة ومتناسية دموعها وامسكت بخنجرها: لا تقترب وإلا قتلتك

- لا تخافي يا ابنتي أنتي في أمان
- من أنت؟؟
- صاحب البستان
- حسنًا سأرحل الآن وإن لحقتني سيكون موتك على يدي
- سيمسكوا بك إن رحلتي، يمكنك البقاء هنا وعندما يحل الظلام يمكنك القدوم معي إلى المنزل حتى تتدبرين أمرك
- لا أشكرك
- لا تعاندي فأنا لا أريد ايذائك كما أن منزلي لا يأتي إليه أحد ولا يوجد به سوي بينلوبي زوجتي وهي ستحبك كثيرًا

اطمئنت كاسندرا لبتركلوس فقد رأت الصدق بعينيه فهدأت وتركت خنجرحها بينما وضع لها بتركلوس طعامه فأكلت بضع لقيمات لإنهاء إلحاح بتركلوس وبعدها دار بينهما حديث طويل أخبرته فيه بكل ما حدث منذ البداية ولم تنسي إخباره أن فتاة تدعي ليليان ستأتي إلى البستان للإطمئنان عليها وعليه أن يحضرها إلى منزله لتراها فوافق بتركلوس

رغم نعومة الفراش وجمال الغرفة الساحر لم تستطع ليليان النوم فقد كانت تفكر في خطوتها التالية وقبل شروق الشمس أدت صلاتها وطلبت من الله العون ثم خرجت من غرفتها ونزلت إلى مطبخ القصر حيث الخدم فطلبت من رئيستهم تحضير طعام الملكة وبينما كان الخدم يعددن الطعام جالت ليليان فيما بينهن فوجدت إحداهن منزوية وحدها ومشغولة بغسل الأطباق فبادرتها باسمة: هل أساعدك؟

- لا داعي فقد أوشكت على الانتهاء ولكن من أنتي؟؟
- جارية جلالة الملكة
- حقًا!!
- أجل ما الغريب في هذا؟؟
- تبدين متواضعة جدًا فجواري الملكة يتعالين هنا

ليليان ضاحكة: إنهن فقط مغرورات ولا أرى داعي لهذا فكلنا سواءً

- ليت الجميع مثلك.. ما أسمك؟؟
- اندروماك
- وأنا ليرتس
- إنني جديدة هنا يا ليرتس ومللت من القصر وأريد الخروج قليلًا ولكني لا أعلم شيئًا هنا
- يمكنني مساعدتك
- كيف؟؟
- إن كنتي متفرغة الآن يمكنني اصطحابك في جولة لتتعرفي علي ساحات القصر

- لا بأس موافقة.. ثم رفعت صوتها مشيرة إلى رئيسة الخدم: عندما يعد الطعام يا سيدة دعيه حتي أتى وآخذه

انطلقت ليليان في جولتها مع الخادمة التي لم تقصر في شرح تفاصيل القصر بأكمله لليليان وأثناء سيرهما سألتها ليليان وقد كانت على علم بالإجابة من كاسندرا: لقد تجولنا في الساحات الخاصة بأمام القصر وخلفه فماذا عن شرقه وغربه؟؟

- شرقه وغربه لا يوجد بهما ساحات وإنما مداخل للسجون
- سجون!!؟
- نعم فالسجن الشرقي مسؤول عنه القائد أجاكس والسجن الغربي مسؤول عنه اللقائد يومايوس
- لهذا قد لا حظت وجود بوابة كبيرة بجانب المطبخ!!.أهي تابعة للسجن الشرقي؟؟
- نعم
- ألا تفتح أبدًا
- بلى وتفتح عندما يحين وقت طعام المساجين فنحن من نعده أيضًا
- ومتي تسلمونه لهم
- وقت الغداء فحسب
- انكن تبذلن الكثير من الجهد
- نعم ولكن لا بأس بهذا طالما أننا نحصل على المقابل فأنا تكفيني سعادتي عندما أحضر لأمي الدواء فتتحسن، أنسى تعبي كله
- أمك مريضة؟؟

- نعم منذ خمس سنوات
- زال البأس عنها... يمكنني مساعدتك اليوم فأنا متفرغة
- أشكرك
- على الرحب والسعة.. ولكن من الذي سيأخذ الطعام الذي سنعده إلى المساجين
- رئيسة الخدم وواحدة منا فقط والبقية حراس واليوم أنا من ستذهب مع السيدة فنحن نقسم الأيام بالتناوب
- جيد عندما أنهى أوامر جلالة الملكة سآتي لمساعدتك والآن علينا العودة حتى لا أتأخر عليها.
- هيا .

استطاعت ليليان الحصول علي ما تريد من معلومات ثم قادت الخادمة التي تحمل طعام الملكة ولم تنسي هي تناول بعض الطعام الذي رأته غريبًا فلم تقوي على تجاهله وإنما تجاهلت تحذيرات يوسف لها وبعد أن قدمت الخادمة الطعام للملكة بعد تذوقه جلست ليليان بجانب الملكة حتي أنهت طعامها وحملته الخادمة فبادرت الملكة قائلة: تبدين نشيطة يا اندروماك فقد أتيتي قبل منيرفا وأيونونية

لقد اعتدت على الاستيقاظ باكرًا من والدي

- اليوم سيعقد الملك أمسية وسيحضرها الوزراء وزوجاتهم ومجلس الشيوخ والاثرياء وسآخذك أنتي وأيونونية ومنيرفا فأنتن أجمل الجواري لدي

صمتت ليليان فقد فاجأها أمر الملكة: يا إلهي وماذا لو رآني أجاكس؟؟ عليا رؤية يوسف الآن بأي طريقة ثم الهرب من هنا)

لاحظت الملكة صمت ليليان وتوترها فتابعت: لا تقلقي ستعجبك الأمسية كثيرًا وقبل أن تخرجي خذي معك هذه الثياب وارتديها بدلًا من ثيابك الرثة تلك فهي لا تليق بجارية الملكة ثم أشارت إلى كيس جلدي: وخذي هذه النقود ومري الخدم أن يشتروا لك كل ما ينقصك واحتفظي بالباقي

- أشكرك جلالة الملكة

أخذت ليليان الثياب وكيس النقود ووضعتهم بغرفتها ثم أسرعت إلى مطبخ القصر وبدأت بمساعدة ليرتس كما وعدتها وعندما انتهي إعداد الطعام نظرت رئيسة الخدم لليرتس قائلة: هيا يا ليرتس علينا ايصال الطعام للمساجين وسنبدأ بالسجن الشرقي

بادرت ليليان سريعًا: أنا سآتي بدلًا من ليرتس اليوم

- لا تتعبي نفسك فهذا يوم ليرتس
- أعلم ولهذا سأذهب بدلًا منها فهي متعبة اليوم وأنا أريد مساعدتها حتى لا ينقص شيء من أجرها
- لا بأس يمكنك القدوم

حملت ليليان الطعام مع السيدة والحراس ولم تنسي دس سكين صغيرة وحادة بأكمامها حتي تعطيها ليوسف إن استطاعت الوصول إليه وعندما دخلوا إلى ساحة السجن لاحظت السيدة غياب أحد حراس البوابة

الرئسية وقد كانت تعرفه هو وزميله معرفة شخصية لتكرار دخولها فبادرت الحارس قائلة: أين ألبيوس؟؟لا أراه

- لقد طعنه السجين الذي امسكوه على المنصة بالأمس وهرب

ليليان باسمه: حقًا!!؟ استطاع الهروب؟؟

نظرت السيدة والحارس باستغراب لليليان على رد فعلها الغير متوقع فتداركت الأمر وحاولت تدبيره فقالت بتعلثم: أقصد كيف هرب ذلك الخائن؟؟ لابد أن القائد أجاكس سيجده ويعاقبه على فعلته؟؟ كيف يجرؤ على طعن أحد حراسنا

مضت ساعات النهار وتنفست ليليان الصعداء بعد أن علمت بهروب يوسف ولم يعد هناك غير هروبها هي أيضا من هذا القصر وهروبها منه لم يكن ممكنا إلا في الصباح حيث يمكنها التعلل بأي شيء والخروج.

كانت الليلة عصيبة على الجميع فجافاهم النعاس عدا أجاكس الذي انهكه التعب فنام سويعات قليلة واستيقظ باكراً وذهب إلى عمله حيث تابع تحقيقه وبحثه بطريقة رسمية حول هروب يوسف والبحث عن كاسندرا بينما بقي يوسف واوليسيز بمنزله حتى عاد

يوسف: هل من جديد يا أجاكس؟؟

- ليس بعد ولكن جنودي يبحثون في كل مكان
- أبحثتم في منازل التجار؟؟
- بحثنا ولم نجد أحد
- أجاكس!! أنا لن أجلس مكتوف الأيدي طويلًا... أوليسيز مصاب أما أنا فلا

- أصبر يا يوسف وغداً إن لم أعثر عليهما سأدعك تخرج للبحث معنا
- ولما لا أخرج اليوم
- اليوم سيعقد الملك أمسية وسيحضرها الوزراء وزوجاتهم ومجلس الشيوخ والاثرياء أي أن الجنود والحراس سينتشرون في كل مكان
- هل ستحضر تلك الأمسية؟؟
- للأسف نعم، فغيابي منها سيلفت الأنظار
- حسنًا سأنتظر حتى صباح الغد وحسب

عندما يكون الإنتظار خيارك الوحيد تدرك مدي صعوبته؛ فدقيقته يوم ويومه عام، وإن وقعت أسيرًا له ستؤجل كل شيء حتي يأتي المنتظر؛ ستؤجل ضحكة من القلب حتى يأتي، حديث مرح حتى يأتي، نوم هانئ حتي يأتي ويأبي عقلك التفكير في سواه فتصبح كمن ينهي حياته وهو حي

ارتدت ليليان الثياب التي اعطتها إياها الملكة ثم ذهبت لها

الملكة: تليق بك الثياب يا اندروماك ولكن لما لم تخلعي هذا الوشاح

- آسفة يا جلالة الملكة ولكنه هدية مباركة من والدي لهذا ارتديه دائمًا فهو يذكرني به ويشعرني بالأمان.
- حسنًا لا بأس به، والآن اجلسي حتي تأتي ايونيونة ومنيرفا

ما هي إلا بضع دقائق وحضرت الجاريتان ثم تبع ثلاثتهن الملكة بينما هي تمشي بتبختر واستعلاء وعندما وصلن إلى قاعة الأمسيات رأت ليليان الملك يجلس على عرش عظيم يكفي ثمنه لبناء هيلاس من جديد وعلى جانبيه الوزراء ومجلس الشيوخ بينما خلفهم جلست النساء والجواري وكل واحدة منهن ترتدي من الحلي ما يكفي لإعمار بلدة وتزويدها

بالطعام والشراب شهر كامل، وقد وضعت أمامهم أصناف عدة من كل ما لذ وطاب من الطعام، فقد كان الثراء الفاحش يطغي علي المكان حتي أن من يراه يشعر بالزهد في كل شيء، شردت ليليان طويلًا حتي حدثت نفسها: ماهذا البزخ والثراء الفاحش!!ما أجملها حياة الملوك والسادة، لا فقير جائع ولا مريض ينقصه دواء ولا رجل أنهكه العمل فأصابه الإعياء ولا أرملة تكافح لتجد لقمة عيش لأولادها ..إنهم وأبناء الشعوب يشبهون الشمال والجنوب يتقابلان ولا يلتقيان أبدًا فالفرق بينهما كالفرق بين السماء والأرض.

عادت ليليان من شرودها عندما جذبتها ايونيونة من يدها لتجلس فقد جلسن جميعًا وهي لا زالت واقفة مما لفت انتباه الحضور لها وبينما هي تجلس حتي وقع بصرها على أجاكس بجانب الملك فظلت طوال الأمسية متوترة وخائفة تحاول إخفاء نفسها ولا تدري أنها تلفت النظر إليها أكثر.

مضت الليلة على خير وفي صباح اليوم التالي قبل أن تحضر ليليان الطعام للملكة أرسلت مينرفا لطلبها فخشيت ليليان أن يكون أمرها قد كشف: ما رأيك بالامسية يا اندروماك؟؟؟

- كانت رائعة يا سيدتي
- هناك أحد الوزراء يريدك

ليليان بفزع: ماذا؟؟

- لقد رآكي بالأمس وأرسل إلى كي يستخلصك لنفسه
- ولكن يا سيدتي... الملكة مقاطعة لها: لا تتسرعي فكري جيدًا بالأمر بين أن تكوني جارية للأبد وأن تذهبي للوزير ويحالفك الحظ وتنجبين

له الولد فتصبحين إحدى سيدات قصره ...وإن فضلتي الجلوس هنا فلا مانع لدي ولا يمكن لأحد أخذ جاريتي إن لم أرد أنا هذا

- أمرك جلالة الملكة، بعد إذنك

خرجت ليليان من جناح الملكة واسرعت إلى غرفتها لتبدأ بنوبة ضحك هستيرية: أناا جارية!!!! ثم عادت لضحكها وتابعت: ويحالفني الحظ وأنجب ولد فأصبح سيدة!!! آه يا قلبي لم أضحك هكذا منذ زمن.. لا بد أن أهدأ الآن كي أهرب من هنا.

استعادت ليليان هدوئها ثم بدأت التفكير في كيفية هروبها فوقع بصرها على سيف فوق صندوق مصنوع من خشب الأبنوس فأخذته: سآخذ هذا السيف معي فربما أحتاجه أثناء خروجي.. ولكن كيف سأستخدمه؟ سأتخيل أني استخدم سكين ولكن بحجم مختلف.

تسللت ليليان حاملة سيفها حتي خرجت من جناح الملكات والجواري ولا تدري أين وصلت ولكنها رأت العديد من الخدم الرجال والجنود وأثناء سيرها رأت أجاكس قادم من بعيد فاختبأت حتى مر أجاكس من جانبها وقامت برفع سيفها على رقبته قائلة :الآن أيها الخائن قد وقعت بيدي

أجاكس مندهشًا: سيدة ليليان!!!!

- أمنك أوليسيز على نفسه فقتلته ووثقت بك كاسندرا فمزقت قلبها وغدرت بيوسف... والآن حان دورك للتجرع من الكأس نفسها

أجاكس بسخرية: هل رآك أحد وأنتي تمسكين بالسيف هكذا!!!؟

ليليان محاولة التماسك: هذا ليس من شأنك فلا تراوغ

أجاكس محاولًا كبح ضحكاته: يا سيدة إنك تمسكين السيف بطريقة معكوسة فالجانب الحاد لابد أن يكون ناحية الخصم لا تجاهك أنتي

ليليان وكأن على رأسها الطيروهي تنظر للسيف: ماذا!!!؟

أمسك أجاكس السيف وأداره ثم أعطاه لها مكملًا حديثه بنبرة ساخرة: يمسك هكذا

وضعت ليليان السيف على رقبته مرة أخرى: أشكرك على المعلومة والآن سأقطع رأسك

أجاكس متجاهلًا سذاجتها: أتعلمين لو رأتك بوليكسينا ابنتي لسخرت منك ولأدركت أنك من عالم آخر

ليليان غاضبة: هااي إياك والسخرية مني، وعن أي عالم تتحدث!؟؟

- أخبرني يوسف بكل شيء والآن تعقلي وإلا كشف أمرنا، فأنا لم أخن أحد واوليسيز على قيد الحياة ويوسف بمنزلي وإن لم تعودي فسيخرج للبحث عنك
- وما الدليل على كلامك؟؟
- تريدين دليل!؟
- نعم
- حسنًا هرب السجين بالأمس وأنا من سمح له بذلك وأعلم مكانه وإن لم تتعقلي سأرسل الحراس ليعيدوه إلى السجن وأنتي سيتم القبض عليكي الآن.... ما رأيك؟؟ لازلتي مصرة على الدليل!؟؟

ليليان وقد أنزلت السيف: مهلًا.... صدقتك والآن أخبرني كيف سأخرج من هنا؟؟

- كما دخلتي
- أتعلم كيف دخلت؟
- لا
- أخبرتهم أني جارية السيد أجاكس وقد أرسلني للقصر لأن زوجته غضبت من وجودي بالمنزل
- ماذاااا!؟
- ما سمعت.... كنت أريد إنقاذ يوسف عن طريق التسلل للسجن الشرقي وقد فعلت ولكن علمت أنه استطاع الهروب
- كان الإله في عونه من أفعالك
- يا هذا أتسمع أذناك ما يقوله لسانك

أجاكس متجاهلًا ما قالته: أخبريني كل شيء بالتفصيل حتي أستطيع التصرف

قصت ليليان ما حدث منذ رمي أوليسيز بالسهم وحتي وصولها للقصر ومعاناتها في جزيرة كيت وغيرها

- كيف استطعتي تأليف كل هذه الحكايات؟؟لن أستغرب من عطف الملكة عليكي فلو سمعت ڤينوس نفسها معاناتك تلك لجعلتنا نقدم القرابين لكي بدلًا منها
- قلت لك كف عن السخرية مني... ما الذي كان يجدر بي فعله

أجاكس متجاهلًا كلامها مرة أخرى: أسمعي سأخبر الملكة أنني أريدك

- لا أظن أنها ستوافق فهناك وزيرًا قد رآني بالأمس ويريد أخذي إلى قصره

- كنت في الأمسية ليلة أمس؟
- نعم
- إذا كنتي تلك الجارية المختلة التي كانت تخفي وجهها تارة وتكشفه تارة أخرى وبينما جلس الجميع ظلت هي واقفة

لم تجبه ليليان وكانت ملامح وجهها كافيه لإعطاء الجواب فتابع أجاكس حديثه: حسنًا سأتصرف وإن اعترضت الملكة سأتحدث مع الملك

- ولكن أسرع فأنا أريد الخروج من هنا
- سأحاول غدًا والآن اذهبي إلى غرفتك واتركي هذا السيف ولا تفكري باستخدامه مرة أخرى

وصل أجاكس إلى بستان الكروم الذي وصفته له ليليان فوجد صاحبه ولم يعثر على كاسندرا: أهلًا يا عم

- أهلاً بك يا ولدي
- ألم تري فتاة هنا؟؟
- أي فتاة؟؟
- الحسناء يا عم كانت ببستانك
- ربما ولكنني أتيت اليوم ولم أجد أحد ومنذ أسبوع وأنا أمرض في بيتي ولم آتي إلى هنا
- ولكنها كانت بهذا الكوخ لا بد أنك تعرف مكانها
- صدقني يا بني لا أعلم شيئًا مما تقول
- حسنًا

ترك أجاكس بتركلوس وذهب ولكنه أمر جنوده بمراقبته ثم عاد إلى منزله فوجد يوسف واوليسيز مستعدين للبحث عن الفتاتين

- إلى أين رحالكم؟؟

يوسف: أجاكس!!! مللت الانتظار وسنخرج للبحث

- لا داعي للبحث فقد وجدت ليليان واليوم سأعثر على كاسندرا فقد علمت مكانها
- وجدت ليليان!!؟
- نعم أو قل وجدتني هي
- وأين هي؟
- آسف يا يوسف ولكنها متهورة وتتصرف دون تفكير
- ماذا فعلت؟؟وأين هي؟؟
- ذهبت إلى القصر وأخبرتهم أنها جاريتي وأنني من أرسلتها إلى هناك لأن زوجتي غضبت من وجودها بالمنزل فصدقتها الملكة كونها جاريتي وبعد أن قصت للملكة معاناتها بجزيرة كيت وقصر كنوسوس أشفقت الملكة عليها وجعلتها جاريتها الخاصة

هيكوبا واوليسيز بصوت واحد: قصر كنوسوس!!!

يوسف: أخبرني ما حدث بالتفصيل

- كانت اندروماك تعيش مع والدها التاجر في ايثاكا وأثناء زيارتهما لجزيرة كيت هاجمهم قطاع الطرق فقتلوا والدها وقاموا بسبيها ثم بيعت لتاجر العبيد والذي باعها لأحد وزراء قصر كنوسوس فعاشت

بالقصر مدة قصيرة وأثناء ذهابها مع الوزير إلى أثينا تمت مهاجمتهم مرة أخرى وبيعت لتاجر العبيد الذي أتى بها إلى هيلاس ثم اشتريتها أنا

يوسف بتأثر: ومن هي اندروماك تلك؟؟

- فتاتك
- ليليان حاكت كل هذه القصص!!!!؟
- نعم والغرض من هذا كله التسلل إلى سجن القصر لإخراجك وقد فعلت ولكنها علمت بهروبك

يوسف وهو لا يستوعب ما يقال: تسللت إلى السجن!!!؟

- بلى.... علي أن أشدد الحراسة من الآن فصاعدًا فقد أفسدتما أمنه

يوسف واضعا يده على جبهته: يا لها من مجنونة!!!!

- لم أكمل بعد
- أهناك المزيد؟؟
- بلى... لقد رافقت الملكة بالأمس ورآها أحد الوزراء فأرسل إلى الملكة يريد أخذها لقصره

اتسعت عينا يوسف: ماذا قلت!؟؟

- أهدأ يا صاح، ستحل الأمور
- أنت كيف قابلتها؟؟
- بينما أنا خارج من جناح الملك وجدتها تعترض طريقي وتضع سيفها على رقبتي لتنتقم مني

يوسف ضاحكًا: رفعت سيفها على رقبتك؟

أجاكس وهو ينظر ليوسف بطرف عينه: لا تفرح هكذا فقد كانت تمسكه بطريقة معكوسه فلو أنني دفعته للخلف قليلًا لطار رأسها
يوسف مازحاً: جيد أنها استطاعت الإمساك به كما أن هجومها عليك ليس سهلاً فهي ترقص عندما تري خيالها
ضحك الجميع ومن بينهم أوليسيز الذي أنتظر دوره حتى يبدأ استجوابه لاجاكس: وماذا عن كاسندرا؟؟ أين هي؟

- أخذتها ليليان إلى بستان الكروم الموجود بالناحية الغربية للمدينة وتركتها بكوخ صغير هناك ولكن عندما ذهبت لهناك وجدت صاحب البستان فأنكر وجدها فأمرت الجنود بمراقبته وغدًا سأفتش منزله.

أنهى بتركلوس عمله بالبستان باكرًا وعاد إلى منزله فاستقبلته بينلوبي زوجته بينما كانت كاسندرا تجلس مهمومة وحزينة فبادرها قائلًا : كيف حالك يا ابنتي؟؟

- على ما يرام
- اسمعيني جيدًا يا كاسندرا
- قل يا عم
- اليوم أتى القائد أجاكس إلى بستاني وسألني عنك فأخبرته أنني لا أعلم شيئًا ولكنني متأكد أنه سيراقب المنزل ولهذا عليك الرحيل عندما يحل الظلام من الباب الخلفي للمنزل
- أجاكس الخائن علم مكاني!!!! ولكن كيف؟تري هل أخبرته ليليان!؟لا ليليان لا تفعل هذا.. ألم تأتي ليليان لرؤيتي يا عم؟؟
- لا يا ابنتي القائد من أتى وحسب

- تري هل أمسك بها واجبرها على البوح بمكاني!؟علي معرفة هذا ومساعدتها
- فكري في الهروب أولًا يا ابنتي وبعدها فكري بما عليك فعله

كاسندرا بحزن: هل كتب بأقدارنا أن نعيش كما المطاريد يا عم؟ أم حرم علينا العيش بسلام في أرضنا؟

- خلقت البدايات مصحوبة بالنهايات يا ابنتي، فإن بدأ الظلم حتمًا سينتهي وإن طاردوك اليوم وتركتي أرضك فغدًا ستعودين إما أنت وإما ابناؤك، المهم أن هناك عودة
- سلبتني هيلاس كل ما هو جميل في حياتي يا عم ولم تترك لي سوي هوائها الملوث بأنفاس الملك وحاشيته وحتى هذا الهواء أتنفسه خلسة
- لا تحزني زيوس لن يتركك.

حل الظلام على المدينة وخلد الجميع إلى النوم فأخرج بتركلوس كاسندرا بعد أن شكرته وودعت بينلوبي التي بكت لأجلها، ثم سارت في شوارع المدينة لا تعلم أين تذهب ولمن تلجأ وبعد أن اهتدي عقلها إلى من تلجأ إليه قررت الذهاب لمنزله من فورها.

بعد اطمئنانها على الطبيب واوليسيز استمتعت ليليان بفراشها وغرفتها فنعمت بنوم هانئ لأول مرة على أرض هيلاس وبعد أن أدت فريضتها وشكرت ربها الذي ما كان أبدًا ليخذل من يدق بابه،نزلت إلى مطبخ القصر وطلبت منهم اعداد الفطور للملكة ثم نادت ليرتس وأعطتها كيس النقود الذي حصلت عليه من الملكة: خذيه يا ليرتس فأنتي تستحقين أكثر من هذا ولو أملك غيره لما بخلت عليك به

- لكن يا اندروماك لم تعطينني نقودك؟؟
- أنا لست بحاجة لها كما أنني جارية الملكة واستطيع الحصول علي غيرها بسهولة أما أنتي فتبذلين مجهودا كبيرًا، والآن يمكنك شراء الدواء لوالدتك براتبك وشراء ما يلزمك بهذه

ليرتس باكية: لا أعلم كيف أشكرك يا اندروماك

- لا تقولي هذا يا ليرتس فقد تعلمت منك أهم درس في حياتي... هيا امسحي هذه الدموع وودعيني فقد لا أراك مرة ثانية

ابتسمت ليرتس وجففت دموعها ثم ودعت ليليان وداعًا حارًا وخلال هذه الأثناء كان طعام الملكة جاهزًا فأخذته لها وبعد أن أنهت الملكة طعامها بدأت حديثها مع ليليان: فكرتي فيما قلته لك يا اندروماك؟؟

- ليس بعد يا جلالة الملكة فأنا أحتاج المزيد من الوقت
- أهناك من اتخذ من قلبك مسكنًا؟؟

تلجلجت ليليان: اتخذ من قلبي مسكنًا!!! لا. لا يا جلالة الملكة

- كوني صادقة حتى أساعدك، فقد رأتك منيرڤا بالأمس وأنتي تقفين مع أجاكس بجناح الملك
- أنا... كنت... كنت
- تحبين أجاكس؟؟
- لا
- إذا فلم كنتي تقفين معه بالأمس
- لأنني... لأنني أحب أحد رفاقه
- وأين قابلتي رفيقه؟؟

- بمنزله
- وما دخل أجاكس بهذا؟؟
- أخبرته بطلب الوزير فقال أنه سيطلب استعادتي منك، ولانك تحترمين إرادة المحبين فلن ترفضي طلبه

الملكة ضاحكة : أجاكس أخبرك بهذا؟؟

- نعم
- حسنًا لن أرفض طلب أجاكس ولن أفرق بينك وبين حبيبك وسأرسل إلى الوزير رفض طلبه
- أشكرك يا جلالة الملكة
- أخبريني يا اندروماك ما الذي تعرفينه عن الحب؟؟
- الحب!!.....شعور تلقائي يأتي بلا استئذان أو سابق إنذار فيغزو قلبك رغمًا عنك ولا يخضع لقوانين العقل وشروطه، فلا يشترط أن يكون جميلًا لأحبه ولا ثريًا فيغرني ماله ولا صاحب عرش ومكانة فأفتن بجاهه وسلطانه، يكفي فقط أن يكون شبيهي المختلف عني ؛مختلف عني في الصفات فيعوض نقصي وشبيهي في الآراء وطريقة التفكير فيحدث تآلف بين روحينا
- كم هو جميل كلامك يا اندروماك!! ليت كل المحبين ينالون مرادهم
- أخبرتني أمي ذات يوم أن الذين حافظوا على طهارة حبهم سينالون مرادهم إن كان خيرًا لهم وإن لم يكن كذلك فسيرزقون بخير منه، أما أولئك الذين دنسوا الحب بأفعالهم فحتمًا سيعاقبون بالحرمان أو أنهم سيحملونه أوزار مع أوزارهم .

أنهت ليليان حديثها مع الملكة وشردت: ما هذا الذي قلته للملكة توا!؟ أشعر وكأنني أصبحت نزار قباني في غمضة عين... من يسمعني يعتقد أنني مغرمة حقًا.. آه يا جدي كم أخبرتك مرارًا أنني بارعة في الثميل ولكنك كنت تسخر من أدائي

الملكة بصوت عالي: اندروماك

ليليان: نعم جلالة الملكة

- ما الذي أصابك؟؟احدثك ولكنك لا تجبين
- آسفة يا جلالة الملكة فقد شردت قليلًا
- لا بأس يمكنك الذهاب إلى غرفتك ولكن أرسلي لي منيرڤا أولًا
- أمرك جلالة الملكة، استئذنك

منيرڤا بغضب: لم أعد أطيقها يا ايونيونة

- لماذا يا منيرڤا؟؟ إنها لطيفة ولم تزعجك في شيء
- أبعد كل هذا؟ أخذت مكاني عند الملكة فأصبحت المقربة لها فلا تفارقها وحتي الملكة لا تعاملها كما الجواري وفوق كل هذا يريدها الوزير
- وما شأنك أنت بهذا؟؟
- إنها فتاة لعوب لقد رأيتها بالأمس وهي تقف مع القائد أجاكس بجناح الملك فلا يغرك مظهرها البريئ
- في الأصل أنتي ما الذي كنتي تفعلينه بجناح الملك؟؟
- لا شيء كنت مارة من هناك وحسب
- أرى أنك تظلمينها كما أنه لكل منا ما يخفيه على الآخر فلا تتدخلي بشؤنها طالما أنها لا تزعجك في شيء

- إذا كانت كذلك فلما ذهبت إلى السجن الشرقي؟؟
- وما عملها بالسجن ومن أين علمتي؟؟
- أخبرتني رئيسة الخدم أنها أصرت على الذهاب بدلًا من ليرتس وبالسجن كانت تصرفاتها غريبة كما أنها كانت سعيدة لهروب السجين الغريب ولهذا أنا متأكدة أن خلف هذه الفتاة أمر ما وسأخبر الملكة بكل شيء
- حسنًا اصمتي فإنها قادمة

أتت ليليان وطلبت من منيرڤا الذهاب للملكة بينما عادت هي لغرفتها

- كيف حالك يا ابنتي؟

كاسندرا باكيه: متعبة... متعبة جدا يا خالة

- ولم البكاء؟؟وأين كنت بينما أجاكس يبحث عنك في كل مكان؟
- ذلك الخائن لن يدعني وشأني
- لم تقولين عنه خائن؟
- أنت لم تتحدثين عنه وكأنه لم يقتل ولدك أوليسيز
- لأنه بالفعل لم يقتل أوليسيز
- ماذا؟؟لقد رأيته بأم عيني وهو يقتله
- لا يا ابنتي أنت لا تعرفين ولدي أجاكس حق المعرفة
- ولا زلت تقولين عنه ولدك!!!!
- نعم لأنه ولدي حتى أموت

كاسندرا غاضبة: وماذا عن قتله لولدك الحقيقي

- أخبرتك أن أوليسيز على قيد الحياة وبفضل أجاكس

- غير معقول
- كان عمر أجاكس خمس سنوات عندما وصلنا خبر قتل والده بحرب طروادة فقد ذهب إلى الحرب وعمر أجاكس ثلاث سنوات وبعد عامين فقط قتل، وقتها كان أجاكس واوليسيز مرتبطين ببعضهما البعض يلعبون سويًا وينامون سويًا ويأكلون سويًا فقد كنا نسكن بجوارهم وبعد قتل والده بأشهر قليلة مرضت أمه وماتت وبقي أجاكس وحيدًا فأخذته إلى منزلي ولم أفرقه يومًا عن أوليسيز،علمتهما كيف يكون الأخ سندًا، إن وقف العالم أجمع بوجهك وقف هو بظهرك، وجعلت كل منهما يفكر بهم أخيه قبل همه فإن سقط أحدهما وجد اليد التي تمسك بساعده لتعيده حيث كان مرة أخرى، ولما بلغ أجاكس السابعة ذهب إلى التدريب وقد كان أقوى رفاقه واشدهم بأسًا رغم صغر سنه ولم يكن تدريب النهار يكفيه بل كان يتدرب ليلًا بينما نحن نيام وإن طلبت منه الراحة أخبرني أنه يريد أن يصبح فارسًا شجاعًا ومقدامًا فإن ذهب إلى الحرب هزم الأعداء وعاد إلى سالمًا ومرت الأيام واشتد ساعده وصارًا شابًا يهابه الجميع لقوة بدنه ورباطة جأشه وتم اختياره كأحد حراس الملك ولما رأى الملك فروسيته التي أثبتها مرارًا عينه قائدًا للجيش وسلمه إدارة السجن الشرقي للبلاد، أما أوليسيز فقد فضل التجارة علي حمل السيف بعد أن أدى سنوات تدريبه ولكنهما كانا دائمًا روح واحدة بجسدين، والآن يا كاسندرا كيف تعتقدين أن أحد أبنائي يقتل أخاه

صمتت كاسندرا فتابعت والدة أوليسيز قائلة: الجميع يعلم أن أوليسيز خاطب الحسناء لكن قلة الذين يعملون أن أوليسيز أخًا لأجاكس لاختلاف دربيهما وإلا كان الملك كشف كل شيء وقتلنا جميعًا وليس أوليسيز وحسب، لقد كنت في ساحة القصر ورأيت أجاكس وهو يطلق سهمه علي أوليسيز ولم يتحرك لي جفن فقد كنت واثقة أن أجاكس إنما يفعل الأفضل لاوليسيز وإن كان قتله ومساء هذا اليوم أتاني أجاكس وقال لي: أماه هل كنتي بساحة القصر اليوم؟

- نعم يا ولدي كنت هناك
- رأيتني وأنا أطلق سهمي علي أوليسيز؟
- نعم رأيتك
- وهل صدقتي أنني قتلته؟
- علمت أنك تفعل الأخير له وما كان هذا السهم بسهم يرمي به أجاكس ويريد به القتل وإن كان يلف الخصم جيش وليس بضعة جنود... ثم أمسكت ساعده وقالت: هذا الساعد الذي رأيته أول مرة وهو يشتد عندما أمسك بالرمح وأول مرة وهو يضرب بالسيف وأول مرة وهو يرمي بالسهم ما كان أبدًا ليؤذي أخاه
- سلمتي يا أماه، ولا تقلقي أوليسيز بخير
- ابلغه سلامي
- حسنًا علي أن أذهب الآن حتى لا يراني أحد هنا
- أذهب يا بني رافقتك السلامة

طرقت منيرفا الباب ودخلت ثم طلبت من ليليان الذهاب لرؤية الملكة والشر ينبع من عينيها، فلم ترد ليليان مسايرة شرها فذهبت للملكة في صمت: مريني يا جلالة الملكة فقد طلبت رؤيتي

الملكة مؤشرة لها بالجلوس: اجلسي يا اندروماك

جلست ليليان فتابعت الملكة: لما ذهبتي إلى السجن الشرقي رغم أن هذا ليس من عملك

- يا جلالة الملكة لقد تعرفت على فتاة مسكينة تدعي ليرتس بمطبخ القصر أثناء إحضاري لطعام جلالتك وهي تبذل مجهودًا كبيرًا حتي تحصل على النقود لتحضر الدواء لأمها المريضة وفي هذا اليوم رأيت أنها متعبة وقد كان دورها للذهاب إلى السجن مع رئيسة الخدم فطلبت أن أذهب بدلًا منها وهذا كل ما في الأمر
- وماذا عن سعادتك من أجل هروب السجين
- لم تكن سعادتي لشخصه وإنما رأيت أنه كان وفيًا لصديقه فأراد مساعدته ولهذا شعرت بالسعادة عندما علمت بهروبه
- لم يكن عليكي إظهار سعادتك
- لم يا جلالة الملكة؟هل نحاسب على المشاعر ووجهات النظر!؟
- هنا لا صوت يعلو فوق صوت الملك فإن رأى أن هذه خيانة فعلي الجميع الاقتناع بهذا أما وجهات النظر التي تتحدثين عنها فيجب أن تظل بداخلك وإن ضاقت بك فحدثي بها نفسك ليلًا والناس نيام حتى لا يسمعك أحد
- ولكن لابد من اختلاف الآراء وكل حر في وجهة نظره

- من يري شيئًا غير الذي يراه جلالة الملك فليتحمل الجزاء
- ألا يجب الاعتراض عندما يقع علينا ظلم ما
- هنا يا اندروماك عليكي أن تجاهدي من أجل لقمة العيش فتأكلين وتشربين وحسب، هذا إن كنتي تودين العيش بسلام وإلا فما أكثرها السجون والزنازين، أنتي في هيلاس ولست في ايثاكًا ولا جزيرة كيت
- أمرك يا جلالة الملكة؛ أعدك أن أكون من الصم البكم العمي، همي في الحياة لقمة العيش فإن حصلت عليها رقدت بسلام
- جيد والآن اذهبي إلى ليرتس تلك أريد التحدث معها، فسأجعلها إحدى جواري كرمة لك
- بوركت يا جلالة الملكة فهذا سيسعدها كثيرًا

أنهى أجاكس عمله وذهب إلى الملكة ليطلب منها اندروماك والتي فهم من حديث الملكة أنها تحب أحد رفاقه ولهذا كانت تقف معه بجناح الملك فلم يفاجئ كثيرًا هذه المرة فقد أصبح يتوقع كل شيء من ليليان وبعد أن أنهت الملكة حديثها أرسلت إلى اندروماك وأمرتها بالذهاب مع أجاكس ولكنه كان ممتنًا لتصرفها هذه المرة فقد أنقذته من غضب هيكوبا وعندما وصلًا إلى المنزل هب يوسف واقفًا ليطمئن عليها: كيف حالك يا ليليان؟ هل أنت بخير؟

بادر أجاكس بالرد سريعًا: نادها اندروماك أفضل

ليليان بغيظ: حسنا يا سيد أجاكس نشكرك على مساعدتك

- لا بأس يا اندروماك فها قد عدتي إلى حبيبك والآن أتمنى أن يدفع لي ثمن شرائك

شعرت ليليان وكأن الطير على رأسها فقالت بغضب ممزوج بالحرج: أي حبيب؟

- ألم تخبري الملكة أنك تحبين أحد رفاقي عندما سألتك عن سبب وقوفك معي!!؟ثم تابع مؤشرًا على يوسف: وها هو ذا رفيقي

- ليليان بغضب شديد: قلت هذا لأنني استحيت عندما سألتني إن كنت أحبك أم لا.... أم كان يجدر بي أن أقول نعم فتقتلني هيكوبا؟

هيكوبا ضاحكة: أحسنتي التصرف يا ليليان

رغم أن يوسف لم يكن يأمل بأن تصرح له ليليان عن حبها أو حتي تلمح له إلا أن ردة فعلها على كلام أجاكس جعلته يشعر بغصة تجتاح قلبه فآثر الصمت بينما دخلت ليليان إلى غرفة بوليكسينا حيث كانت تمكث بها مع الصغيرة، وجلس أجاكس مع يوسف واوليسيز واخبرهما أنه سيذهب إلى منزل صاحب البستان ويفتشه وأثناء حديثهم طرق أحدهم الباب ففتحت هيكوبا وكان الطارق كاسندرا والتي اعتذرت لأجاكس على سوء ظنها به واطمئنت على أوليسيز ومرت الليلة سعيدة على الجميع فناموا نوم هانئ عدا يوسف وأجاكس والذي جلس يستمع إلى يوسف وحديثه عن عالمه فكان أجاكس مسبوها لا يكاد يصدق ما يقوله يوسف عن الآلات والالكترونيات وهذا العالم الافتراضي الذي سلب عقول الشباب والفتيات ودس الفتنة في كل ركن وزاوية

أوشكت السفينة على الابحار فوقف اوليسيز وكاسندرا يودعان الجميع بدموع حرار وكم تمني أوليسيز أن ترافقه أمه ولكنها أبت الموت في غير أرضها فطمئنه أجاكس بأنها ستعيش بمنزله ولن يعلم أحد ووقفت

ليليان أيضًا تودع كاسندرا ومتمنية لها العيش الهانئ، وعانق أوليسيز كل من يوسف وأجاكس ثم أمه التي لم تكف عيناها عن النحيب فصعد أوليسيز وكاسندرا إلى السفينة تاركين قلبيهما بأرض هيلاس وعينونهم تلتقط الصورة الأخيرة التي ستظل محفورة بعقولهم حتى تحين العودة.

مجبران كالكثير غادر أوليسيز وكاسندرا أرضهم وخلفهم الرفاق يلوحون لهم بأيديهم

يوسف: كان الله في عونهما

أجاكس: سيعودان يومًا

- أتمنى ذلك، وأنت يا أجاكس كن حذرًا في الأيام المقبلة فاستضافتك لوالدة أوليسيز وهروبي أنا وليليان وكاسندرا قد يلفت الأنظار إليك

- لا تقلق

قرر أجاكس الإنتظار حتي حلول الظلام كي يعودوا إلى المنزل وطلب من يوسف أن يلحق به هو ليليان بعد ذهابه مع والدة أوليسيز حتي لا يسهل التعرف عليهم.

راحل الآن يا أمي ولكني سأعود.. نعم سأعود.. سأعود لأخبر أولادي أن هذه أرضي وعنواني، وإن سألوني فلم هجرتها؟؟ سأقول!!! والله لولا أن أهلها أجبروني ما تركتها، فنعم البلاد بلادي تعطي الجميع وأبناؤها من كل حدب تنادي، ولكن ما ذنبها!!!؟...ما ذنبها إن كان حاكمها أبناؤها يعادي؟

في احدي طرقات جناح الملك وقفت منيرڤا مع القائد يومايوس: لم تأخرتي يا منيرڤا؟

- كنت برفقة جلالة الملكة
- حسنًا أخبريني بما أتيت به
- ليس بهذه السهولة أيها القائد

يومايوس بانفعال: ألا تشبعين؟إنك امرأة دنيئة يا منيرڤا، تخونين الجميع لأجل المال

- جيد أنك تعرف هذا حتي تحذر فلا يصبح اسمك في قائمة من غدرت بهم

يومايوس وقد ناولها كيس نقود: خذي وقولي ما لديك

- منذ أربعة أيام أرسل القائد أجاكس جارية له إلى القصر وتدعي اندروماك فجعلتها جلالة الملكة جاريتها الخاصة ولم تكن تعاملها كما الجواري وعندما رآها أحد الوزراء بالأمسية طلبها من الملكة ولما أخبرتها الملكة بطلب الوزير ترددت وطلبت وقتًا للتفكير وفي صباح اليوم التالي عندما أتيت لأقابلك وجدتها تقف مع القائد أجاكس وقد كانا يتهامسان، كما أنني علمت من خدم المطبخ أنها ذهبت معهم إلى السجن الشرقي وتهللت أساريرها عندما علمت بهروب السجين وبعد ذهابها مع القائد أجاكس أخبرتنا الملكة أنها تحب أحد رفاق القائد أجاكس ولهذا طلب استعادتها من الملكة
- جميل!! اذهبي الآن وافتحي أذناك جيدًا لكل ما يدور حولك وخاصة الملكة.

أنهى يومايوس حديثه مع منيرڤا ثم إلتقي بأحد جنوده: اسمع أيها الجندي

- مر يا سيدي

- اذهب إلى منزل القائد أجاكس وراقبه جيدًا وإن حام طائر حول منزله أخبرني وإياك وأن يراك أحد
- أمرك سيدي

خرجت ليرتس من جناح الملكة متجهة إلى غرفتها والتي سبق وقد سكنتها ليليان قبلها، فاعترضت منيرڤا طريقها وقد كان بغضها لها لا يقل شيئًا عن بغضها لأندروماك: تمهلي يا ليرتس

- ماذا تريدين يا منيرڤا؟

منيرڤا ضاحكة: منيرڤا!!! عجبا لهذه الدنيا! منذ يومين كنتي تناديني سيدتي

- ها قد قلتها، منذ يومين وليس الآن
- لا تفرحي كثيرًا هكذا، فتلك اللعوب التي تسببت في قدومك إلى هنا سأجعلها تدفع الثمن قريبًا
- ماذا تقصدين؟؟
- لا شيء

تركتها ليرتس واتجهت لغرفتها بينما أتت ايونيونة التي كانت تراقبهما من بعيد

- ما الذي تحاولين فعله يا منيرڤا؟
- لا شيء يا ايونيونة
- لا تحاولي إخفاء الأمر فأنا أعرفك جيدًا... صممت منيرڤا فتابعت ايونيونة: ألم تغادر اندروماك!!ما مشكلتك الان مع ليرتس؟

- أنا واثقة يا ايونيونة أنا خلف اندروماك وليرتس هذه أمر ما ولن أدعها حتي أعلم ما تخفيانه
- وماذا ستجنين إن علمتي؟
- الكثير.. الكثير يا ايونيونة
- إنك تسعين خلف أمور أكبر منك ولا تخصك يا منيرفا وعاقبة هذا ستكون سيئة
- لا تقلقي ففي هذه الحياة إن لم نغامر ونخاطر لن نصل إلى حيث نريد

في صباح اليوم التالي بينما القائد يومايوس ذاهب إلى اجتماع الملك رأى رجله يهرول إليه: انتظر يا سيدي

- هل علمت شيء؟؟
- نعم يا سيدي فبالأمس رأيت القائد أجاكس عائد إلى منزله وبرفقته عجوز أظنها والدة أوليسيز فقد سبق لي رؤيتها عندما ذهبنا لتفتيش المنزل بحثًا عن الحسناء
- هل أنت متأكد أنها والدة أوليسيز؟؟
- ليس تمامًا يا سيدي فقد كان الظلام حالكًا ولكن بإمكننا التأكد من هذا
- حسنًا يمكنك الذهاب
- هناك شيئًا آخر، فبعد دلوف القائد والعجوز بوقت قصير أتى شاب وفتاة ملثمين ودخلا إلى منزل القائد أجاكس أيضًا
- تري ما الذي تحيكه يا أجاكس؟؟ سأعلم هذا وسأتخلص منك قريبًا... حسنًا أيها الجندي عد أدراجك واحترس وإياك أن يخرج ما قلته الآن لأحد

- أمرك سيدي.

دخل يومايوس إلى قاعة الإجتماع وجلس بجوار أجاكس متعمدًا: كيف حالك يا أجاكس؟

- علي ما يرام
- هل أمسكت بالسجين الهارب؟
- ليس بعد
- وماذا عن الفتاة التي كانت تصاحبه عندما دخلا المدينة؟
- لا تقلق يا يومايوس قريبًا سأجد كليهما... أنت ماذا عن الحسناء ألم يكلفك جلالة الملك مهمة البحث عنها قبل خمسة أيام؟
- وأنا أيضًا سأجد الحسناء قريبًا فلا تشغل بالك
- أتمنى

انتهى الاجتماع وعاد كل إلى عمله عدًا القائد يومايوس الذي تنكر في زي مدني وذهب إلى منزل أوليسيز ليتحري أمر والدته وعندما وصل إلى المنزل رآه ختيار كان يسكن بجوارها: ليست هنا يا بني

- وأين أجدها؟؟فقد أردت إعطائها بعض المال
- منذ أن خانهم أجاكس وقتل أخاه وهي لا تخرج من منزلها ولا نعلم عنها شيء
- أقتل أجاكس أخاه
- نعم قتل أوليسيز
- كيف يكون أجاكس أخا لاوليسيز؟؟

قص الرجل ليومايوس علاقة أجاكس بأوليسيز فتعقدت الأمور أكثر لدي يومايوس فقد رأي أن هناك حلقة مفقودة في الأمر، فكيف يقتل أجاكس أوليسيز وفي الوقت ذاته يأخذ والدته إلى منزله فعاد على ذاكرته ما حدث أثناء قتل أوليسيز والظهور المفاجئ للغريب ثم هروبه من السجن وتلك الجارية

ليرتس: إن سمحتي لي يا جلالة الملكة، هناك ما أود إخبارك به ولكن أخشى أن تغضبي علي

- لا داعي للخوف يا ليرتس، قولي ما لديك
- بالأمس عندما أرسلتني إلى جلالة الملك رأيت منيرڤا تقف مع القائد يومايوس فراقبتهما من بعيد فرأيته يعطيها كيس نقود ودار بينهما حديث طويل
- ألم تسمعي شيء
- لا كنت بعيدة عنهما، وبالأمس أيضًا أثناء خروجي من عند جلالتك اعترضت منيرڤا طريقي وهددتني قائلة: لا تفرحي كثيرًا فقريبًا سأجعل تلك اللعوب التي تسببت في إحضارك إلى هنا تدفع الثمن

الملكة وقد تبدلت ملامح وجهها: حسنًا يا ليرتس عليكي مراقبة منيرڤا جيدًا، لا تجعليها تغيب عن ناظريك لحظة واحدة، هذا إن كنت ممتنة حقًا لأندروماك وما فعلته معك

- أمرك جلالة الملكة

منيرڤا: ما الأمر أيها القائد

- هل علمتي شيء جديد؟

- لا كل ما هناك أن المدعوة ليرتس لا تنفك تبتعد عن الملكة
- عليكي معرفة ما يدور بينهما سريعًا
- وكيف هذا؟

يومايوس وقد أخرج زجاجة صغيرة: ستضعين بعضًا من هذا في شراب الملكة

منيرفا بفزع: أتريد قتلها

- لا أيتها الحمقاء، هذا سيجعلها تهذي وحسب وما ستهذي به نحتاجه نحن
- وإن لم تتحدث!!؟
- ستستدرجينها أنتي في الحديث، فلتعرفي علاقتها بجارية أجاكس وإن كانت تعلم شيئًا عن الغريبين وأم أوليسيز
- وما دخلها هي وأجاكس بوالدة أوليسيز؟؟
- والدة أوليسيز بمنزل أجاكس والجارية والسجين على الاغلب
- ماذا؟
- لا تطيلي الحديث وإن أحضرتي لي ما أريد سأجعلك سيدة بهذا القصر فعندما يعلم الملك بكل هذه الأمور سيقضي على أجاكس ورجاله
- حسنًا سافعل

ليرتس: ما فهمته من حديثهما يا جلالة الملكة أن والدة أوليسيز والسجين واندروماك بمنزل القائد أجاكس ولكي يتخلص القائد يومايوس من القائد أجاكس سيخبر الملك بهذا

- الملكة بانفعال: يومايوس!!! أعدك أنك لن تستطيع الوصول إلى مبتغاك أيها الخبيث
- ليس هذا وحسب يا جلالة الملكة بل إنه أعطى لمينرفا حاوية دواء زجاجية وطلب منها أن تضعه في شرابك حتي يذهب عقلك وتخبرين منيرڤا بكل ما يتعلق باندروما ووالدة أوليسيز
- دعي لي منيرڤا ولكن عليكي الإسراع الآن إلى منزل القائد أجاكس وأخبريه أن جلالة الملكة تود مقابلته سريعًا والأمر لا يحتمل التأخير، ولا تخبريه بهذا أمام أحد وخاصة زوجته وكوني حذرة فلا بد أن رجال يومايوس يراقبون منزله ولهذا بدلي ثيابك وارتدي ثياب ربات المنزل وخذي معك بعض الغلال والفاكهة ليظنوا أنك بائعة جائلة
- أمرك جلالة الملكة ولكن أين ستلتقيان كي أخبره
- اطلبي منه تحديد المكان ووصفه لك فأنا قد نسيت أزقة هيلاس وشوارعها منذ زمن
- أمرك جلالة الملكة، بعد إذنك.

ذهبت ليرتس وأتت منيرڤا إلى الملكة حاملة الشراب: تودين الشراب يا جلالة الملكة؟؟فالجو حار جدًا اليوم

- لا يا منيرڤا فأنا الآن متعبة وأريد النوم ولا يأتي لي أحد حتي يحين المساء وعندها تعالي واحضري الشراب معك فهناك أمر قد أسعدني وأود الاحتفال ليلًا
- أمرك جلالة الملكة

ذهبت ليرتس إلى منزل القائد أجاكس كما أمرتها الملكة ففتحت لها هيكوبا زوجته فطلبت منها ليرتس رؤية القائد أجاكس فأخبرته هيكوبا فخرج لها بينما طلبت ليرتس التحدث مع أجاكس على انفراد معللة ذلك بأن أحد رجال أجاكس من القصر هو من أرسلها فعادت هيكوبا إلى الغرفة حيث ليليان والصغار بينما وقف أجاكس مع ليرتس: والان يمكنك التحدث... من أنتي ومن من رجالي قد أرسلك؟

ليرتس بصوت هامس مسموع: أنا ليرتس جارية جلالة الملكة

- جارية جلالة الملكة!! وماذا تريدين

- جلالة الملكة تود مقابلتك في أسرع وقت ممكن فالأمر لا يحتمل التأخير

أجاكس وقد بدي علي وجهه الاهتمام: وأين تريد مقابلتي؟

تقول لك حدد أنت المكان فهي لم تعد تتذكر شوارع المدينة

أجاكس بعد تفكيرللحظات: حسنًا أخبريها أن هناك بستان كروم غرب المدينة، فلتأتي إلى هناك وستجد رجلًا يدعي بتركلوس فلتخبره أنها تنتظر القائد أجاكس وقد أصل أنا قبلها فتجدني .....وكان قد سبق وأن علم بتركلوس أن أجاكس هو من يساعد الحسناء فرضي عنه

- حسنًا ولكن احذر أيها القائد من أن يتبعك أحد فهناك من يراقبون منزلك

- يراقبون منزلي!!؟

- نعم

- من؟ومنذ متي؟

- جلالة الملكة ستخبرك بكل شيء والآن بعد إذنك

غادرت ليرتس واستعد أجاكس للذهاب أيضًا وقد كان عقله كالطاحون جزء عاد إلى الماضي وجزء يفكر الحاضر وجزء يتوقع المستقبل، فحذر يوسف وزوجته واخبرهم أن الأمور لا تسير على ما يرام وعليهما الاستعدا لكل الاحتمالات حتي يعود ثم غادر

الملك بوجه عابس: إن كان كلامك صحيح يا يومايوس فهذا يعني أن أجاكس يخوننا منذ زمن كما أنه قد أستخف بنا أيضًا

- أنا متأكد من أقوالي يا جلالة الملك
- إذا إذهب برجالك إلى منزل أجاكس وتحري الأمر فإن كان صحيحًا فقم باعتقالهم جميعًا بما فيهم أجاكس وإن كان إدعائك خاطئ فلتعلم أنه لن يكون لك عمل بعد اليوم لأنني سأنفيك خارج البلاد
- أمرك جلالة الملك

لم يؤخر يومايوس جهدًا حتي يحصل على هذا الأذن من جلالة الملك فجمع رجاله وذهب مسرعًا إلى منزل القائد أجاكس

جلس أجاكس مع الختيار بتركلوس يتبادلان أطراف الحديث حول أوضاع البلاد ولم يمض كثيرًا حتي ظهر أمامهما امرأتين ترتديان ثياب ربات المنزل أما إحداهما فقد كانت ليرتس وأما الأخرى فقد كانت جلالة الملكة والتي ألقت التحية على أجاكس وبتركلوس دون أن تفصح عن نفسها فطلب منها أجاكس القدوم معه إلى الكوخ حتي لا يراهما أحد بينما جلست ليرتس تتحدث مع بتركلوس بالقرب منهما

أجاكس: كيف الحال يا جلالة الملكة؟

الملكة بانفعال:ديوميد يا أجاكس ولا داعي بأن تناديني بجلالة الملكة

- وهل أخطأت؟؟
- نعم أخطأت ولا تكرر هذا ثانية
- حسناً يا ديوميد... ماذا هناك؟
- لا زلت كما أنت يا أجاكس تفكر بالجميع وتنسى نفسك، فيما مضي ضحيت بأحلامنا وسعادتنا حتي لا تبتعد عن أوليسيز وأمك وحفاظًا على هيلاس وشعبها ودفعت أنا الثمن بزواجي من الملك الختيار ذو الأنفاس الكريهه.... والآن تضحي بنفسك وزوجتك وولديك من أجل أوليسيز وكاسندرا والغريبين
- ما الذي تقصدينه؟؟
- هل تعتقد أنني صدقت قتلك لاوليسيز وإن كنت قد رميته بسهمك وهل تظن أنني لا أعلم أنك من سمح للسجين بالهروب!!؟، فمنذ متي والسجناء يهربون من زنازين القائد أجاكس؟حتي اندروماك شككت بأمرها منذ قدومها ولكن سهلت لها كل الأمور حتي أنني جعلتها جاريتي الخاصة كي أسهل لها ما أتت من أجله ولكن مالم أستطع فهمه هو لم ذهبت للسجن إن كانت تعلم أن السجين استطاع الهروب؟أم أنك لم تخبرها؟
- في الأصل أنا لم أرسلها إلى القصر هي من ذهبت حتي تنقذه بنفسها وعندما علمت بهروبه أرادت الخروج وكنت أعلم أنك سهلتي لها الأمور كونها جاريتي
- يبدو أن هناك أمورا أكثر غموضًا ولا أعلمها ولكن لا وقت الآن للشرح فجميعكم بخطر

- كيف؟
- علم يومايوس بكل شيء وهو من يراقب منزلك وسيخبر الملك أيضًا حتي يتخلص منك وتخلو الساحة له ولهذا عليك الإسراع وإخفاء الغريبين وأم أوليسيز بعيدًا عن منزلك وأنا سأعود الآن إلى القصر كي أفسد بقية خطط يومايوس
- حسنًا ولكن كوني حذرة وإلا كشف أمرك أنت أيضًا

عادت الملكة ومعها ليرتس إلى القصر وعاد أجاكس أيضًا مسرعًا إلى منزله وقبل وصوله رأي أحد رجاله المخلصين يهرول إليه فأخبره بما كان يخشاه

بعيدًا عن سجون هيلاس الرسمية في أحد المنازل المهجورة شدد يومايوس حراسته لهذا المنزل عن طريق رجاله المندسين حول المنزل حتى لا يلفتوا الإنتباه وبالداخل صلب كل من يوسف وليليان وهيكوبا ووالدة أوليسيز بينما عقدت أيدي الصغيرين وتم إلقائهم في أحد الزوايا

يومايوس: لا أدري بمن منكم أبدأ ولا بماذا أبدأ؟؟هل بالسؤال عن حقيقة قتل أوليسيز أم هروب الحسناء أم استجواب الغريبين؟...صمت قليلًا ثم تابع موجها حديثه إلى ليليان: ألست أنت الجارية اندروماك أم هي فتاة غيرك

ليليان بثقة: لا أعلم شيئًا عن ما تتحدث عنه

- لا بأس، ستعلمين كل شيء بعد قليل.... ثم تابع موجها الحديث إلى والدة أوليسيز: وأنت كيف تمكثين بمنزل قاتل ولدك؟؟ ثم تابع صارخًا: أين هو أوليسيز؟

والدة أوليسيز: أوليسيز قتل أمام أعين الجميع لأنه خان قانون هيلاس ولا أبالي إن كان أجاكس هو من قتله فهذا أفضل عندي من أن يقتل على يد أحد آخر

يومايوس وهو يمسك بالسوط: حسنًا سنري إن كنت ستصرين على أقوالك

يوسف بفزع: ماذا ستفعل؟....إياك يا يومايوس ولمسها

يومايوس: لا تقلق أنت أيضًا سيحين دورك

يوسف صارخًا: إذا فلتبدأ بي أيها الجبان

تجاهل يومايوس صراخ يوسف وبكاء هيكوبا وليليان ونحيب الصغيرين وشهقاتهما التي بدأت عندما وجه يومايوس أول ضربة بالسوط لجسد العجوز الواهن اعتقادًا منه أنها أضعفهم ولهذا لن تتحمل العذاب وستشي بكل ما تعرفه فقد أعمى الظلم بصره وبصيرته ونسي أن قوة الأم لا تكمن بجسدها وإنما في قوة تحملها وصبرها على البلاء من أجل أبنائها، فاستمر في جلدها حتى أنهكت وسالت الدماء على وجهها ويديها وسط سب من يوسف وصراخ من ليليان وهيكوبا وفزع من الصغيرين وعندما لم يحصل منها على شيء ذهب وهو يتوعد لهم بالعودة وتاركًا خلفه أنين العجوز وبكاء الآخرين

* * * *

صعقت الملكة عندما وصلت إلى القصر وعلمت أن الملك قد أصدر مرسومًا يقر بإلقاء القبض على أجاكس أينما وجد وأن القائد يومايوس قد ألقى القبض على الغريبين وأهل أجاكس فأمرت ليرتس بالعودة إلى

البستان سريعًا وإخبار بتركلوس بالأمر وأن يطلب من أجاكس المكوث عنده حتي تتصرف هي وترسل له المعلومات وإلا سيكون مصيره الأسوأ على الإطلاق وبالفعل عادت ليرتس إلى بتركلوس وأخبرته، وفي الوقت ذاته كان أجاكس قد علم من رجله ما حدث فهرول مسرعًا إلى بتركلوس مرة أخرى فقد أدرك أن بستانه هو الأكثر أماناً في هذا الوقت ولا بد له من مكان آمن يجلس به حتى يفكر فيما عليه فعله وعندما وصل أخبره بتركلوس بما أتت به ليرتس وكان على علم به فجلس بالكوخ مهمومًا يفكر فيما عليه فعله وكيف سيتصرف وماذا إن لم تستطع ديوميد مساعدته وكشف أمرها فكيف سيصل إلى أهله حينئذ.

منيرڤا: أمسكت بهم جميعًا؟

- نعم عدا أجاكس وسيحن وقته
- جيد
- والآن عليكي المجيء معي
- ولم؟
- أريدك أن تتعرفي على الفتاة، إن كانت هي المدعوة اندروماك أم لا؟فإن كانت هي فهذا يعني أن الملكة أيضًا متورطة بالأمر وهذا سيسهل أمورنا كثيرًا ولن نكون بحاجة إلى دس شيء بشرابها
- ولم لا تعذبها حتي تعترف بدلًا من خروجي فألفت الأنظار إلى
- لا وقت لدي لأعذب كل منهم على حدي ففي كل الأحوال سيقتلون جميعًا
- حسنًا سآتي ولكن متي؟؟

- ليلًا حتي لا تشعر الملكة بغيابك

الملكة: أحسنتي يا ليرتس والآن اذهبي سريعًا إلى بتركلوس وأخبري أجاكس بما سمعتي واطلبي منه إخبار رجاله فلا بد أنه يتواصل معهم فليكونوا مستعدين لمهاجمة رجال يومايوس حيث يحتجز أهل أجاكس

- ولكن يا جلالة الملكة نحن لم نعلم بعد أن يحتجزهم يومايوس
- سأرسل خلف يومايوس ومنيرفا من يراقبهم وسيبلغنا بالمكان ونحن سنرسل أجاكس ورجاله
- أمرك جلالة الملكة

جرت الأمور كما خططت لها الملكة وأرسل أجاكس إلى رجاله ليتجهزوا وينتظروا أوامره في أي لحظة وعندما حل الظلام وذهبت منيرفا مع القائد يومايوس علم جندي الملكة مكان الإحتجاز وأخبرها به ولم يمض وقتًا طويلًا حتي تجهز أجاكس ورجاله وانتظروا مغادرة يومايوس لمداهمة المنزل بينما كان يومايوس يؤكد آخر شكوكه

يومايوس مشيرًا إلى ليليان: قولي يا منيرفا هل هذه اندروماك؟

منيرفا والشماتة تنبع من عينيها وتسيل من لسانها: بالطبع هذه هي اندروماك... ثم وجهت حديثها إلى ليليان مشيرة إلى يوسف: هذا هو حبيبك إذا .....ثم تابعت وهي تضحك بمكر: ما أجملكما وأنتما معلقين هكذا

يومايوس: يبدو أنك تحبينها يا منيرفا

- كثيرًا
- إذا هي لك حتي أعود فلتجعلي لسانها يغرد كما البلبل

- لا تقلق فلن أقصر معها

خرج يومايوس وترك منيرڤا تتجهز لتعذيب ليليان: بأيهما تودين البدء يا اندروماك السوط أم السيف

يوسف: إياك ولمسها

رفعت منيرڤا يدها وقامت بصفع ليليان بأقصى ما لديها من قوة ثم نظرت إلى يوسف وهي تثير غضبه بضحكها: ها قد فعلت، فما الذي تقوي على فعله أنت؟

ليليان: لا تثفي كثيرًا بيومايوس خاصتك فسيأتي دوركما وسأجعلك تندمين على اليوم الذي ولدت فيه

علت ضحكات منيرڤا ثم وجهت حديثها لوالدة أوليسيز: كفي أنيناً أيتها العجوز فصوتك يزعجني

والدة أوليسيز بصوت متقطع وأنفاس ضائعة: ستجدون لعنتكم قريبًا وسيسلخ أجاكس جلودكم

أمسكت منيرڤا السوط وقامت بضرب العجوز عدة مرات ليزاد أنينها وبالخارج وصل أجاكس ورجاله ودار بينه وبين رجال يومايوس اشتباك بالسيوف بعد أن استنفذ كل من الطرفين ما لديه من سهام وكانت الغلبة لأجاكس ورجاله فاقتحموا المنزل وقتلوا من كانوا به من حراس يومايوس وألقوا القبض على منيرڤا التي وضعت سيفها على عنق بوليكسينا ابنة أجاكس لولا أن أحد الرجال رماها بسهم في يدها لتفلت بولكسينا، وبعد أن أطمئن أجاكس على ولديه وفك قيودهما أسرع إلى أمه وبدأ بفك قيدها بينما رجاله فكوا البقيه:أماه هل أنت بخير؟

والدة أوليسيز بصوت هامس متقطع: صرت.... بخير عندما.. رأيتك يا بني

- تماسكي قليلًا يا أماه وستطيب جراحك

والدة أوليسيز وهي ترفع يدها الملطخة بالدماء وتضعها على خد أجاكس: لا جراح لدي يا ولدي... أقرء أوليسيز عني السلام إن استطعت وأنت فليرضي عنك الإله .....أنهت العجوز كلماتها لتسقط يدها فيمسك بها أجاكس وهو فزع تملأ الدموع عيناه: أماه... أجيبيني

ما كانت العجوز لتجيب نداء أجاكس بعد أن لفظت أنفاسها الأخيرة فأطلق أجاكس صرخة مدوية كادت تنزع قلوب الموجودين من مكانها: أمااااااه.

جلس الجميع حول أجاكس يحاولون تهدئته فبادر يوسف: أجاكس علينا الذهاب من هنا فالوضع صار أخطر بكثير

أجاكس وقد جفف دموعه ونظر إلى منيرفا بحقد: ليس قبل أن تخبرنا تلك اللعينة بما خطط له يومايوس.. ثم قام وهمس ليوسف بأذنيه فذهب يوسف ومعه ليليان وهيكوبا والصغيرين وتبعهم بعضًا من رجال أجاكس لحراستهم وقبل ذهابهم وقفت ليليان أمام منيرفا: اسمح لي يا أجاكس... ثم ردت لمنيرفا صفعتها بينما أخذ أجاكس السوط وبدأ بضرب منيرفا التي لم تستطع الصمود كثيرًا واعترفت بكل شيء فأدرك أجاكس أن ديوميد أيضًا بخطر فقتل منيرفا وأخذ رجاله ولحق بيوسف والبقية عند بتركلوس وجلس يفكر بطريقة يتسلل بها إلى القصر وتوصل إلى جعل أحد رجاله الدخول أولًا ثم جمع بقية رجاله هناك وفتح المدخل

السري للقصر بعد قتل حراسه ثم وجه حديثه لبتركلوس وليليان وهيكوبا: وأنتم ستبقون هنا وليحمل كل منكم سلاحًا تحسبًا لأي أمر ..ثم أشار إلى هيكوبا: وأنت يا هيكوبا علمي ليليان كيف تمسك السيف فقد أصبحنا في وضع يجعلنا بحاجة إلى دفاعها .

مع بزوغ الفجر ذهب أجاكس ورجاله ومعه يوسف بعد أن وصلهم خبر بأن كل شيء على ما يرام فاستطاعوا التسلل إلى القصر فاختبأ رجاله حيث أمرهم أما هو فقد تسلل إلى غرفة الملكة والتي كانت في وضع الاستعداد أيضًا فوضعت سيفها على رقبته فقال بعد أن كشف لثامه: لا تقلقي هذا أنا أجاكس

الملكة بصوت هامس: وما الذي تفعله هنا؟؟هل أنقذت اهلك؟

- قتلت أمي والبقية بمنزل بتركلوس وعليكي اللحاق بهم الان
- ولم؟
- قد علم يومايوس أنك كنتي تساعدينني وحتمًا سيبلغ الملك ليتخلص منك أنتِ أيضًا وبهذا لا يبقى أمامه سوي الملك
- ما الذي تقصده؟
- يومايوس لم يكن هدفه أنا وحسب بل أنت ووليدك ثم الملك
- يا له من خائن
- ليس هذا وقت الحديث، سيخرجك رجالي الآن أنت والرضيع من الباب السري للقصر وستكملين مع ليرتس إلى بستان بتركلوس وهناك سيصحبكما هو إلى المنزل
- حسنًا

خرجت الملكة متسللة كغيرها مع وليدها ويصحبها أحد رجال أجاكس وليرتس حتى وصلت إلى البستان فوجدت بتركلوس بانتظارها فأخذها إلى المنزل، فرحب الجميع بها وأولهم ليليان التي ما لبثت أن رأت ليرتس حتى عانقتها وأما طفلي أجاكس فقد فرحًا بالرضيع وكأنه دمية أمامهما وأما بينلوبي فقد كانت أكثرهم سعادة بالأطفال الثلاثة

هيكوبا موجهة حديثها إلى ليليان: ليليان هلا أحضرتي الماء لجلالة الملكة فلا بد أنها تشعر بالعطش

- أشكرك يا هيكوبا على لطفك

- العفو يا جلالة الملكة فهذا واجب

الملكة موجهة حديثها إلى ليليان وهي تبتسم: إذا اسمك ليليان وليس اندروماك؟

ليليان بحرج: نعم يا جلالة الملكة

- وأنت يا ليرتس هل هناك ما تخفينه

بادرت ليليان بالرد باسمة: لا ليرتس الوحيدة التي لا تخفي شيئًا

ليرتس: هذا صحيح يا جلالة الملكة فأنا لم يكن لدي علم بشئ إلا بعد أن امرتني بمراقبة منيرفا

- أين هي الآن؟

هيكوبا: قتلها أجاكس

- أحسن التصرف فقد كانت تستحق هذا

وعلي الطرف الآخر من المدينة حيث القصر تسلل أجاكس إلى غرفة الملك ليخبره أن يومايوس الذي وثق به يحاول قتله وقتل وريثه ولكنه تفاجأ

بأن الملك قد ذبح في فراشه فقرر مغادرة القصر سريعًا وأثناء خروجه وذهابه حيث رجاله وجد رجال يومايوس يحاوطونه ومن خلفهم خرج يومايوس وقد علا صوت قهقهته:أخيرًا يا أجاكس قد وقعت بيدي

- أيها الخائن!!!

- لا تتحدث أنت عن الخيانة يا أجاكس

استل أجاكس سيفه وبدأ بقتل بعض الجنود حتي وصل إلى يومايوس واشتد القتال بينهما فتكاثر رجال يومايوس على أجاكس كالغربان وفي هذه الأثناء كان الهرج والفوضى قد وصلا إلى يوسف والرجال عند المخرج السري فاضطروا إلى ترك أماكنهم واللحاق بأجاكس فقاموا برمي سهامهم على رجال يومايوس فالتفت لهم أجاكس وعلي حين غفلة منه قام يومايوس بطعنه بالسيف

فنظر له يوسف صارخًا: أجاااااكس ..ثم صوب سهامه ناحية يومايوس ليصيبه بأحد قدميه إذ أنه لم يكن بارعًا في استخدام القوس وبعد أن خر كل من أجاكس ويومايوس على الأرض متأثرًا بجرحه تابع يوسف رمي سهامه على يومايوس وهو يتقدم نحوهما حتي جعل جسده كالمصفاة ولم يكتف بذلك وإنما أتى أحد الجنود وقطع رأسه بالسيف بينما يوسف أنحني إلى أجاكس: أجاكس ستكون بخير

أجاكس ودمائه تسيل على الأرض: لا أظن يا صاح ...وما إن قال كلمته حتي أغمضت عيناه ولم يحرك ساكنًا فوجه حديثه إلى الجنود: اعثروا لي حالًا على خيط وابرة

أحد الجنود: ولم؟

يوسف صارخًا بانفعال: قلت احضروا لي ما تخيطون به ثيابكم حالًا وتلك الأعشاب التي تستخدمونها لإيقاف النزيف

هرول كل رجل في اتجاه بينما كانت الجواري في الأعلى ينظرن في هلع ومن بينهن ايونيونة التي اسرعت وأحضرت ليوسف ما طلب والذي بدأ بتطهير الجرح أولًا ثم قام بخياطته وبعدها بدأ محاولته في عملية إنعاش لقلب أجاكس وبعد معاناة من يوسف وكان قد بدأ يفقد الأمل لولًا أن تنفس أجاكس من جديد فحمله الرجال إلى إحدى الغرف وأعلن رجال أجاكس استيلائهم على القصر حتي يفيق قائدهم ويري ما الذي يتوجب فعله وتم إخراج الجثث من القصر ودفن الملك وأرسل يوسف أحد الرجال إلى النساء ليطمئنهم دون أن يخبرهم بإصابة أجاكس ولم تستطع كل من هيكوبا وليليان إخفاء دهشتهما عندما فرحت الملكة بقتل الملك ومرت ساعات النهار وعلم جميع الوزراء بما حدث من قتل يومايوس الخائن للملك وانتقام أجاكس البطل منه وكان هذا فقط ما أراد يوسف أن يعلمه الجميع وبعد أن استعاد أجاكس وعيه أخبره يوسف بما حدث

أجاكس بصوت وهن: كيف استطعت خياطة جرحي بتلك البراعة

يوسف ضاحكًا: هناك ما لم يخطر ببالي اخبارك به

- ما هو؟؟

- أنا طبيب

أجاكس باسمًا: بل طبيب بارع، فجرحي لم يكن هينا حتى أنني تيقنت أني ميت لا محالة

- زال البأس عنك ولكن هناك شيء يحيرني

- ما هو؟؟

- ما الذي دفع الملكة للمخاطرة من أجل مساعدتنا؟

أجاكس وقد بدي علي وجهه الأسى: كنت ابنا للثالثة والعشرين من عمري عندما صرت أحد حراس الملك وكانت ديوميد الملكة ابنة أحد الوزراء وكانت تصغرني بعامين فالتقيتها بالقصر وتكرر لقائنا إذ كانت تأتي إلى هنا باستمرار بصحبة والدها فأحب كل منا الآخر فكانت تتنكر في زي سيدات المدينة وأنا في زي رجالها ونتقابل في ضواحي المدينة فنقضي وقتنا بالثرثرة حول أمور البلاد وما يجري بها وكانت تعارض الملك ورجاله دائمًا حتي والدها ومع مضي الوقت أخبرتها كل تفاصيل حياتي حتي أنني جعلتها تقابل أمي يومًا دون أن أخبر أمي أنها ابنة الوزير حتي لا تغضب علي وتقول لي أنت ترمي نفسك بالخطر يا أجاكس؛ كان أوليسيز يذهب لتجارته فيقضي بالسنة مغتربًا ثم يعود لشهر أو شهرين وفي ذات مرة أخبرته أنني أريد الزواج منها ولا أدري كيف، فشتان بين حارس وابنة وزير فقال لي أوليسيز إن اضطر الأمر فإهدم العالم لأجلها وتزوجها ولكنني خشيت هذا فقد كان الأمل الوحيد لزواجنا هو الهروب من هيلاس ولكن لم استطع ترك أمي المرأة التي سهرت ليليها لأجلي وجاعت كي تشبعني ويشتد ساعدي.... كان صعبًا جدًا يا صاح، وفي أحد الأيام أتتني ديوميد باكية: سيزوجني والدي للملك يا أجاكس

- ما الذي تقولينه يا ديوميد؟

- فلنهرب يا أجاكس أرجوك

- لا يمكن يا ديوميد

ديوميد وقد توقفت عن البكاء: لا يمكن!! لماذا يا أجاكس؟؟هل ستتركني أتزوج هذا الختيار؟ صمت أجاكس بينما تابعت ديوميد: سيبيعني والدي لأجل العرش كي يتقرب أكثر من اللملك ويزاداد حظه من أموال شعب هيلاس، وأنت لم ستبيعني؟

أجاكس بانفعال: لن ابيعك يا ديوميد وإنما سيضحي كلانا بالآخر لأجل شعب هيلاس..... أتدرين ما معني هروبنا؟؟...صمت ديوميد فتابع أجاكس: أي أننا سنعيد كرة الملكة هيلين والأمير باريس

- لما تقارننا بهما؟؟أين نحن منهما؟
- إن هربنا سيرسل الملك خلفنا فإن علم مكاننا سيطلب استعادتنا مكبلي الأيدي والأقدام من ملك البلد الذي سنفر إليه فإن لم يعطنا ستشن حرب من جديد فيتيتم الأطفال ويرمل النساء وتنحني ظهور الآباء حزننا على شبابهم... لا يا ديوميد لن أسمح بهذا عودي فلتتزوجي الملك بنفس رضية لأنك ستكونين سببًا في إحياء الكثيرين.

يوسف بتأثر: وماذا بعد؟

- تزوجت الملك ولكنها لم تنجب منه طيلة هذه السنوات سوي هذا الرضيع ولم يكن أحد ينتظر هذا المولود لأن الملك كان لديه العديد من الزوجات ولم تعطه أي منهن الوريث
- وأنت؟
- تابعت حياتي وتناسيت جرحها حتى صرت أفضل حراس الملك وبعدها قائد بالجيش ثم المسؤول عن السجن الشرقي وأخلص رجال الملك

ومنذ أربعة أعوام فقط تزوجت هيكوبا وهي من عامة الشعب وبعد مرور عام على زواجنا رزقنا ببنلوس وبوليكسينا

- أظن أن الوقت قد حان!
- وقت ماذا؟
- زواجك منها
- ما الذي تهذي به أنت؟
- اسمع يا أجاكس.. حاكم البلاد الآن هو ديوميد كونها أم الوريث وأنت تعلم أن الحكم إن وقع بيد امرأة كثر الأعداء وحاوطتها الثعالب ولهذا إن تزوجتها أنت فستصبح الحاكم الشرعي للبلاد وبهذا لا تذبح الحسناوات ولا تشنون الحروب على أحد ولا يغير على بلادكم أحد وبذلك تطمئن على بنلوس وبوليكسينا ويطمئن غيرك أيضًا

أجاكس وقد بدي عليه التفكير بالأمر: وهيكوبا!؟

- ماذا بها
- إنني أحبها ولا يمكنني أن أكون سببًا في تعاستها فهي لم تجادلني يومًا في أمر عزمت عليه، لم تقل أولادي في خطر ولم تقل إنك تهملنا، تقبلتني في جميع أحوالي؛ وأنا غاضب وأنا صامت وأنا مريض، لم أرها يومًا تتذمر كما الأخريات

يوسف وقد أعجبه وفاء أجاكس لزوجته وإقراره بأفضالها فقال مبتسمًا: إنك رجل أصيل يا أجاكس ففي بلادنا عليك فقط أن تقترح الزواج على الرجل وهو لن يقصر وسينسي أنه متزوج من الأساس

أجاكس ضاحكًا: إذا العيب بنسائكم

يوسف وقد علت قهقهته: إن صح القول فهو بالاثنين يا صاح
أجاكس: اذا ما العمل؟
- أخبر هيكوبا بالأمر قبل أن تخبر الملكة وعلى ما أظن لن تكون هيكوبا أقل منك عقلًا وستوافق حرصًا على مستقبل ولديها
- سأفعل وإن رفضت فلا بأس ولن أترك ديوميد وحدها أيضًا سأنتبه لما يحدث حولها

يوسف وهو ينظر لأجاكس بمكر: أخبرني بصراحة يا أجاكس ماذا تعني لك الملكة الآن؟هل استطعت نسيانها؟
- إنها جرح ساكن إن لمسه أحد شعرت أن ذئابا تنهش قلبي

يوسف ضاحكًا: لا بأس سيطيب قريبًا

مر ثلاثة أيام حتى تعافي أجاكس قليلًا وكان يوسف قد أتى بالنساء والأطفال ولم ينسي بتركلوس وبينلوبي التي اشتد بكاؤها عندما أتى يوسف لأخذهم فطمئنها أنها أيضًا سترافقهم للقصر، وهناك أخبر أجاكس هيكوبا بقراره ولم تعترض فقد رأت أن هذا هو الأنسب لجميع شعب هيلاس وعليها أن لا تكن أنانية فأخبرها أجاكس أن مكانها بقلبه لا يمكن لإحداهن أخذه وإن صارت زوجاته مئة فقد كانت ملاذه دائمًا يذهب حيث يذهب ثم يعود لها بهمومه وأحزانه فتخففها عنه فقد كانت له وطن إن جارت عليه الأيام.

وبعد أن تزوج أجاكس من الملكة ديوميد وتم تتويجه واعلانه ملكًا أمام شعب هيلاس، حمل كل ما وجده ثمين وغالي بعد أن جمع الكهان وذهبوا إلى هيكل ڤينوس لترضي عنهم فما كان من ڤينوس إلا أن أتت لأحد

الكهان بمنامه وأبلغته بأنها قد قبلت هدية أجاكس ولا داعي لذبح الحسنوات بعد الآن، انتشر الخبر بهيلاس واحتفل الجميع بهذا الخبر، بينما أرسل أجاكس رسله إلى جميع البلدان المجاورة رافعًا راية السلام فلا يغير ولا يغار عليه كما أنه أرسل مبعوثًا إلى أثينا لإحضار أوليسيز وكاسندرا.
وفي ساحة القصر خرج أجاكس بصحبة يوسف وهيكوبا ممسكة يد بنلوس وديوميد ممسكة يد بوليكسينا وليليان تحمل الرضيع وهي فرحة به وتداعبه، فجلسوا جميعاً بعض الوقت فبكي الرضيع فأعادته ليليان إلى أمه ثم استأذنت لتتمشي وحدها قليلًا فما كان من يوسف إلا أن تبعها وترك أجاكس يلاعب صغاره

يوسف وهو ينادي ليليان: ليليان!! توقفي....توقفت ليليان عن السير فتابع يوسف حديثه: ما الأمر؟؟لم قمتي؟

- لا شيء أردت التمشي وحدي فحسب
- بل غير ذلك... هات ما تخفينه أسفل لسانك

ليليان بغيظ: لا أخفي شيئًا.... صمتت قليلًا ثم تابعت: لقد صدقت كل شيء هنا عدا ما أراه الآن

- وماذا ترين؟
- أجاكس يجلس مع زوجتيه دون أن تغار إحداهما وهو ينظر إلى كلتيهما بحب .....اكتفي يوسف بالضحك بينما تابعت ليليان وهي تنظر له بغيظ وتؤشر له بسبابتها: أنتم الرجال لديكم قلوب تشبه الإستضافة، من يمر يجلس بها فهي متاحة للجميع

يوسف وقد علا صوت ضحكه: وأنتن النساء عقولكن كعقول العصافير وأستثني هيكوبا منكن

ليليان بانفعال: لا بد أن تعجبكما هيكوبا بعد صنيعها... والله إنكم تشبهون الثعالب بمكرها

يوسف ولا زال يضحك: حسنًا اهدئي... ثم تابع مشيرًا إلى هيكوبا: فها هي صاحبة الشأن تضحك وتستمتع بوقتها

ليليان وهي تمسك رأسها: أنا هادئه

يوسف: ليليان ما بك؟؟

أجابته ليليان بالسقوط مغشيًا عليها وبينما هو يتفحصها شعر بصداع شديد ودوار ودوامة تجذبه للأسفل فاستسلم لهذا الشعور حتي وقع هو أيضًا على الأرض ليكون آخر ما رآه فزع أجاكس وهو يقبله بيديه ومناداة هيكوبا وديوميد لليليان

* * * *

على شاطيء الأسكندرية استعادت ليليان وعيها فاستغرقت لحظات قليلة حتى استعادت توازنها وتذكر ما حدث فوجدت نفسها مرتدية ثيابها لا ثياب الجارية وبجانبها يوسف ملقًا على الرمال والذي بدأ استعادة وعيه بعدها مباشرة فقام يتلفت حوله وينفض الرمال عن ثيابه بعد أن لاحظ أنه يرتدي ثيابه لا ثياب أوليسيز

يوسف: هل أنتي بخير؟؟

- نعم بخير
- أين نحن؟؟

ليليان بحزن: على شاطيء الأسكندرية

يوسف مازحًا: هذا رائع فهو أفضل من الغردقة وهيلاس

ليليان بعيون يلمع بها الدمع: ولكنني أبغض هذا المكان كثيرًا

- لم؟؟ما الأمر؟؟
- ليليان مؤشرة بيدها إلى صغير يلعب: انظر هناك، هذا الصغير الذي يلعب مع أخته سيغرق بعد قليل
- ماذا تقولين؟؟

- ستتسبب الفتاة بموته
- كيف علمتي هذا؟؟

ليليان وقد فرت دموعها: كنت في السابعة من عمري عندما أتيت أنا وأخي يوسف إلى هنا برفقت والدينا بالإجازة الصيفية وكان أخي يصغرني بأربعة أعوام، وكنت أخاف البحر كثيرًا فلم أفكر إلى يومنا هذا الإقتراب منه، وفي هذا اليوم غادرنا النزل صباحًا وأتينا إلى الشاطئ بينما ذهب أبي لإحضار الطعام وكانت أمي تجلس بعيدًا عنا وتراقبنا أثناء لعبنا وعندما غرقنا في اللعب ابتعدنا عنها وأثناء عدوي خلف يوسف نزل الماء وبدأ يتعمق فتبعته بخطوات قليلة مرضت بينما هو أكمل فتوقفت أنا مكاني عاجزة عن الحراك لا أدري هل أتبعه وأنا أخاف الماء وقد أموت غرقًا أم أعود إلى أمي وقد تتأخر فلا تلحق به، مضت لحظات قليلة وأنا ثابتة في مكاني وأراه يتقدم حتي أتى الموج فأوقعه وشاهدت غرقه بأم عيني، لا أذكر كيف اخرجوه ولكن كل ما أذكره هو صياحي وصياح أمي وهو جثة هامدة بين يديها، ومضي الكثير على تلك الحادثة ولكنها لا زالت كابوسًا يؤرق حياتي، دائما كنت أسمع بكاء أمي ليلًا فأنظر من طرف الباب فأجدها تحتضن ثيابه وتبكي.

كنت بالصف الثاني الثانوي عندما ناقشتنا المعلمة عن معني العجز فقصصت تلك الحادثة فلاحظت المعلمة تأثري فأخبرت أمي وعلمت منها ما حدث فنصحتها بأن أزور طبيبًا نفسي ولكنني رفضت هذا فالطبيب لن يغير حقيقه أنني قتلت أخي بخوفي

- بل يمكن تغيير الحقيقة في بعض الأحيان ولكن في حالتك لا يمكن تغييرها لأن حقيقتك تلك ليس لها أصل من الأساس..... فطفلة بالسابعة من عمرها ما كانت لتنقذ عصفور، يكفيها أن تنقذ نفسها إن استطاعت

صمتت ليليان فتابع يوسف حديثه: الخوف في بعض الأحيان يجنبنا الكثير من المصائب، فخوفك في هذا اليوم أنقذك من مصير مشابه لمصير يوسف وبدلًا من احتضان أمك لثيابه لاحتضنت ثيابكما معا، لو لحقتي به لمات ولو لحقت به أمك لمات أيضًا أما أنتي فمقدر لك العيش وكي تسير الأمور بشكل طبيعي كان لابد من سبب يجعلك على قيد الحياة وهذا السبب كان خوفك من اللحاق به..... فهذه هي تدابير الله ولهذا اخرجي من رأسك تلك الأفكار

- أي أنني لم أكن سببًا في موته
- إننا نفسر الأمور على هوانا ونصدقها فينعكس هذا على حياتنا سواء أكان بالسلب أو بالايجاب وفي معظم الأوقات يكون تفسيرًا مخالف للواقع، فمثلًا أنتي صار عمرك اثنين وعشرين عامًا ولازلتي تعيشين بكابوس اسمه قتلت أخي رغم أنك انقذتي نفسك

ليليان باستغراب: كيف علمت سني

يوسف متلجلجًا: ماذا!!! قد خمنت هذا

- اهاا... ما هو تخصصك
- المخ والأعصاب
- ولا بأس بك كطبيب نفسي

يوسف ضاحكًا: شكرًا على المجاملة

شعور اعتاد عليهم كليهما؛ صداع ودوار شديد وسقوط بدوامة ثم استيقاظ بمكان آخر.

استعادت ليليان وعيها وتبعها يوسف ليجدا نفسيهما بأحد أحياء القاهرة والذي يذكره كلاهما جيدًا

وقف يوسف ومعه ليليان ينظران إلى فتاة صغيرة تجلس القرفصاء وتبكي وامامها فتا قد تجاوز الثانية عشر من عمره يحاول تهدئة روعها وما هي إلا بضع دقائق وأمسك يدها ورحلا.

لم يبد يوسف معرفته بشيء وبادرها قائلًا: أين نحن الآن

- بالشارع الخلفي لمنزل جدي
- حسنًا، الفتاة قد عرفتها فمن يكون الفتى؟؟
- وما حكايته
- في هذا اليوم خرجت من منزل جدي دون أن أخبر أحد، أردت الذهاب للبقالة ولكنني ضللت الطريق فجلست أبكي بدلاً من محاولة الوصول إلى المنزل فرآني هذا الفتي وسألني عن أسم والدي فطمئنني وأعادني إلى المنزل وعندما وصلنا للمنزل وجدت جدي وأبي يرحبون به وفهمت منهم أنه يوسف ابن جار جدي والذي كان صديقًا لوالدي قبل ذهابنا إلى الشرقية وكان والدي يحب الفتي منذ صغره فسمي أخي على اسمه ومن وقتها كنت أتردد إلى منزله عندما أكون عند جدي فكنت ألعب مع أخيه سيف وهو يكبرني بأربعة أعوام أما يوسف فيكبرني بستة أعوام ولكنه كان يقف بصفي أنا دائمًا

عندما أتشاجر مع سيف، اخر مرة رأيته فيها كانت منذ عشر سنوات.... . كانت أيامًا جميلة ليتها تعود

- وأين هو الآن

سافر إلى ألمانيا ليدرس الطب ولكنه عاد منذ شهرين ولم أعلم خبر عودته إلا قبل مجيئ إلى هنا لعله صار كبيرًا الآن وربما قد تزوج فتاة شقراء ولديه أطفال

لم يستطع يوسف إيقاف ضحكاته فعلا صوته

- لم تضحك؟؟
- علي الشقراء
- ولما
- لأنه لا يشترط أن يكون قد تزوج بفتاة شقراء
- عندما نعود سأسأل جدي

يوسف ضاحكًا: حسناً وإن كان قد تزوج الشقراء فسليه ان كان لها أخت

- أ تريد الزواج من شقراء؟؟
- يوسف بجدية مصطنعة: بل أريد الزواج من بلهاء

صداع ودوار وسقوط بدوامة ربما يؤلم ولكن عندما يتكرر الألم ذاتهم تعتاده

- #أحيانًا يكون الحنين إلى الماضي أشد إيلامًا من أقسى ما نعانيه في الحاضر، فالحاضر لا زال لجامه بيدنا ويمكننا توجيهه حيث نريد، أما الماضي فقد فر هاربًا بلجامه ولا أوبة له، والحنين إلى من لا يؤوب سم يفتك بالقلوب

في أحد أفخم القاعات وقف كل من يوسف وليليان مزهولين فما كان من يوسف إلا أن بادر بالسؤال كالعادة: أين نحن الآن وعرس من هذا؟؟

ليليان واضعة يدها على وجهها: يا إلهي

- ما الأمر؟؟
- انظر للعروس

يوسف مندهشًا: إنها..... أنتي!!!!!

ليليان وهي تهم بالذهاب: علينا الذهاب من هنا

- مهلًا.. لما نذهب؟؟
- لأنه على ما يبدو قد وصلنا إلى عالمي الخاص ولا أريد أن يطلع عليه أحد
- توقفي، على الأقل فلنبارك لك
- لا تسخر مني والآن فلنذهب من هنا فورًا
- ومنذ متى ونحن نتحرك على كيفنا، إننا نذهب حيث يأخذنا عقلك، فانتظري حتي نتعرف على زوجك المستقبلي
- اتظن أن الأمر يشبه هيلاس؟ هذه أوهام لا أساس لها

يوسف متجاهلًا ما قالته: أخبريني أين وجدتي هذا الرجل؟؟

- ماذا؟؟
- أقصد أنه وسيم جدًا وثرائه يبدو فاحشًا
- وما المانع؟؟هل تتحدث عن معجزات؟
- أبدًا.... تري أين ستعيشان؟هل بقصور باريس؟

ليليان بسخرية: ولم لا فثرائه فاحش

- وماذا عن أخلاقه ودينه؟؟
- لا تقلق بشأنهما فهما على أحسن ما يكون

يوسف محاولًا إخفاء غيظه والسخرية: يا له من رجل كامل!! أما من عيوب لديه؟

- ليس كاملًا وليس به عيوب
- كيف هذا؟؟كأن يكون طويل قصير مثلًا

ليليان بغضب من سخريته: لا بل أقصد أن مواصفاته كامله ولكن عيوبه بشخصيته كالجميع

- وماذا يعمل سعيد الحظ هذا؟؟ أ يتاجر بالكوكائين أم أصبح ثريًا لحصوله على إرث والده ووالد والده؟؟
- وهل كل الأثرياء يتاجرون بالكوكائين أو حصلوا علي إرث
- لا ولكن شاب في مثل عمره كيف يكون هذه الثروة وإن كان مكافحًا؟
- أنت مخطئ
- إذا كنت مخطئًا أخبريني ماذا يعمل؟
- لم أفكر في ذلك، كل ما أعلمه أنه ليس طبيبًا وحسب وهذا ما يهمني
- ماذا!!! تقصدين قبولك لأي شخص عدا طبيب؟؟
- نعم
- ولما؟
- لأنني لا أريد زوجًا يذهب في الثامنة صباحًا ويعود في الثانية ظهرًا ليستريح ساعة ويذهب من الثالثة وحتى العاشرة مساءً إلى عيادته

الخاصة فيعود منهكًا وينام ليستيقظ باكرًا من أجل دوامه فأكون أنا وأولادي كمالة لأثاث منزله ولا نري من وقته غير المال

- أليست تلك رسالتهم؟من سيعالج أولادك إن مرضوا ليلًا
- أنا أقدر ما يفعلونه فهم يستحقون كل التقدير والاحترام ولكن ألا يمكن أن يعملوا لساعات قليلة في اليوم وإعطاء ذويهم حقوقهم في أوقات يومهم
- وكيف هذا؟
- بدلًا من فتح العيادات الخاصة يعملون في المستشفيات العامة وبذلك إن مرض أولادي ليلًا سأذهب إلى المشفي العام وأنا واثقة أني سأجد الطبيب المناسب به وهم يجدون الوقت ليجلسوا مع أهلهم
- إن الأمر أكبر من ذلك بكثير فلا تصدري أحكاما تلقائية...صمتت ليليان فتابع يوسف حديثه: أرى أن نادين كانت محقة عندما اختارت اللون الوردي كمؤشر للخيال فأنتن الفتيات ترسمن أحلامًا وردية والأسوأ من هذا تصدقنها ولا تدركن أن أحلامكم تلك لا وجود لها على أرض الواقع، أنت مثلًا انظري إلى زوجك الذي تحلمين به: خلوق كالصحابة الكرام، وسيم كنجوم السينما وأكثر ثراء من نجيب سويرس والأهم من هذا كله، ليس طبيبًا فلو فكرتي بواقعية لأدركتي أنك لن تقابلي أحدًا يجتمع به كل ما تريدين من صفات ولهذا عليك التخلي عن بعضها

ليليان واضعة سبابة اليد اليمنى بفمها وكأنها تفكر: لا يمكنني التخلي عن كونه خلوقًا... ولا وسيمًا.... في الحقيقة لا يمكنني التخلي عن أي واحدة

يوسف وقد أصابه اليأس من سذاجتها: حسنًا إن عثرتي يومًا على فارسك صاحب المواصفات القياسية فأعلميني

ليليان ممسكة رأسها: صداع مرة أخرى... كفي أريد العودة فقد مللت

اجتمع الأطباء حولها بعد إقرار نادين أن مؤشرات الجهاز تؤكد انتهاء الإتصال بين ليليان والأقطاب، فبدأ الأطباء نزعها بداية من ليليان ونهاية بيوسف الذي بدأ استعادة وعيه فور نزع الأقطاب ففتح عينيه ليري الوجوه أمامه مشوشة وكأنه كان نائم منذ شهر، فاستغرق قبالة الربع ساعة حتي استعاد وعيه تمامًا وتذكر ما حدث فنهض ليجلس ولكنه شعر أن جانبه الأيمن معطل ولا يستطيع تحريكه فعاد لنومه مرة أخرى، ولكن شعر الأطباء بالقلق حيال ليليان التي لم تحرك ساكنًا بعد فطمئنهم يوسف بصوت واهن: لا تقلقوا ستفيق بعد قليل فقط مدوها بالجلوكوز لكن جسدها كان يرفض استقباله في بعض الأحيان على عكسك أنت

يوسف هامسًا بغضب: تلك المجنونة على الرغم من تحذيراتي لها إلا أنني واثق أنها كانت تأكل خلسة

- ماذا تقول؟؟

يوسف وهو يهم بالقيام: لا شيء قلت مدوها بالمغذيات وحسب ..ثم تابع حديثه مؤشرًا إلى نادين: وأنت لن تخرجي من هنا إلا بعد كتابة تقرير بأنك إن استخدمت هذا الجهاز مرة أخرى فستتحولين للتحقيق.... ثم

أكمل كلامه مشيرًا لأحد الأطباء: أتصل بالشرطة حالًا ولا تدعوها تذهب قبل تنفيذ ما قلت وإن لم تفعل فسأقدم بها بلاغ بمحاولة القتل
أنهى يوسف حديثه وخرجت نادين ومعها الطبيب المشار إليه وفور خروجها دخل الجد ووالدي ليليان ووالدي يوسف وسيف
والدة يوسف بعيون دامعة وهي تحتضنه: هل أنت بخير يا بني؟؟اتشعر بشئ؟
يوسف: بخير يا أمي لا تقلقي
أطمئن الجميع على يوسف ثم بادرت والدة ليليان بالسؤال عن ابنتها وقد كانت دموعها أشد حرقة وهي تري ابنتها شاحبة كما الأموات: أخبرني يا يوسف ولا تخفي على لماذا لم تستعد ليليان وعيها بعد؟أبها شئ؟
يوسف: لا تقلقوا هي فقط بحاجة إلى المغذيات وبعد ساعة أو أقل ستستعيد وعيها.
بعد أن أطمئن الجميع على يوسف عاد مع والديه وأخيه إلى المنزل بعد أن طلب من جدها ووالديها أن لا يخبروها بشئ يخصه ولا من يكون معللًا بأن هذا أفضل لها وبعد ذهابه بأقل من ساعة استعادت ليليان وعيها ورأت والديها وجدها فقط بجوارها
والد ليليان:أنتي بخير يا حبيبتي؟
- بخير يا أبي
والدة ليليان: أقلقتنا عليك يا ليليان
- أنا بخير يا أمي، لا داعي للقلق

وجهت ليليان بصرها إلى جدها الذي لم يستطع إخفاء دموعه فبكت هي أيضًا: اشتقت إليك كثيرًا يا جدي

الجد بصوت متهدج: أنا من اشتاق إليك يا روح جدك

خرج والد ليليان لينهي بعض الأوراق والتقارير وبقي الجد ووالدة ليليان

ليليان: منذ متى وأنا نائمة؟

الجد: منذ خمسة أيام

ليليان باندهاش: خمسة أيام وحسب؟

الجد: نعم يا ابنتي

- أين الطبيب يوسف؟

الجد: أنهى تقاريره حول حالتك وذهب

ليليان بصوت هامس: حالتي!!!! لم أكن سوي حالة بالنسبة له؟؟

والدة ليليان: ماذا تقولين يا ابنتي

- لا شيء يا أمي، فقط أريد العودة للمنزل فأنا متعبة

أنهى والد ليليان تقارير الخروج واصطحب أهله وعاد للمنزل وبعد أن أطمئن على ليليان أضطر للعودة إلى الشرقية مع زوجته للحصول علي إجازة من العمل كي يقضوا بعض الوقت مع ابنتهم

بعد أن عاد يوسف إلى المنزل واستراح أعدت له أمه طعامًا خفيفًا فأكل بنهم ثم دخل غرفته واتصل بجد ليليان ليطمئن عليها: أهلاً يا جدي

- أهلاً يا بني

- هل ليليان بخير؟

- نعم ولكنها تبدو مهمومة
- لا تقلق ستكون بخير إن شاء الله ولا تنسي إخبارها بما جئتك به أثناء زيارتي
- سأخبرها غدًا صباحًا إن شاء الله
- حسنًا يا جدي أشكرك

أنهى يوسف حديثه مع الجد ثم استلقي على سريره وشبك يداه ووضعهما أسفل رأسه وتنفس بعمق ولكن أتى سيف وقطع خلوته: اشتقت إليك كثيرًا يا صاح

يوسف باسمًا : أجاكس

- ماذا قلت؟؟
- لا شيء وأنا أيضًا اشتقت إليك كثيرًا

سيف مازحًا وقد جلس بجوار يوسف: أري أن نيران الحب قد لسعتك

- بل قل أحرقتني
- يا الله، تبدو في حالة يرثى لها
- جداً
- ألم تطلب يدها!
- بلى فعلت ولكن جدها قد أخبر والديها ولم يخبرها بعد
- إن لم يكن قد أخبرها بعد فما الذي يحزنك
- لا أدري.... ربما لأنها لا تعلم أنني أنا

سيف بجدية مصطنعة: اعذرها يا صاح فأنت لا تشبهك أبدًا ومعرفت أنك أنت ليست بالشيء السهل

يوسف رافعًا حاجبيه: أتمزح!؟؟

سيف ساخرًا: لا يا حبيبي فأنت تقول أحجية ثم تابع بجدية: كيف لا تعلم أنك أنت؟هلا شرحت لي؟

يوسف رافعًا صوته: يا غبي أقصد أنها لا تعلم أن يوسف جارها هو نفسه يوسف الطبيب الذي يعمل بالمشفي

- آسف يا أخي ولكن يبدو أنها لا زالت ساذجة كما كانت

يوسف وقد رمي أخيه بالوسادة: احترم نفسك وإلا قطعت لسانك

- يا ولد الفتاة لم توافق بعد
- ولا أظن أنها ستفعل
- ولم؟؟
- لأنها لا تريد الزواج من طبيب

سيف ضاحكًا: اوه يا إلهي، إنها ترفضك بلطف

- اخرج من غرفتي هيا وإلا رميتك من هنا
- حسنًا لا تغضب سأكون جادًا
- كنت أشعر أحيانًا أنها تحب الطبيب
- أي طبيب؟

يوسف غاضًبا: أنا

- حسنًا فهمت ولكن أنت الطبيب جارها أم أنت الطبيب الذي قابلها على شاشة الحاسوب
- حقًا إنك سخيف، إنها تظن أن الطبيب جارها قد تزوج بفتاة شقراء ولديه أطفال

انفجر سيف ضاحكًا وأمسك بطنه ثم ألقي بجسده على السرير وتابع كلماته من بين ضحكاته المتقطعة: على هذا الحال عندما يخبرها جدها أنك تريد الزواج منها فستعتقد أنك طلقت الشقراء؟ ليتني اتزوجها أنا

يوسف بغضب: من؟؟

سيف وقد عاد لضحكه الهستيري: الشقراء

يوسف: كفي ضحكًا

- لماذا لم تخبرها بالحقيقة؟
- أريد أن أتأكد هل تحبني أم أنني كنت اتوهم
- وكيف ستعرف هذا
- إن رفضتني كوني جارها وحاولت لقائي كوني الطبيب
- تفكير جيد والآن أخبرني كل شيء عن هذا الوهم الذي عشتماه
- سأخبرك

* * * *

استيقظت ليليان من نومها باكرًا فأدت فرضها وجلست بجوار جدها الذي تهللت أساريره عندما رآها :كيف أصبحت روح جدها؟؟

- ليليان بصوت يشوبه النعاس: بخير يا جدي
- أتذكرين الموضوع الذي كنت أريد التحدث معك به قبل ذهابك
- نعم أذكر
- أتذكرين زيارة يوسف؟؟
- أذكر يا جدي فأنا لم أفقد الذاكرة بعد
- حسنًا، عندما أتى لزيارتي كان قد طلبك للزواج

- ماذا؟
- طلبك للزواج!!
- ألم يتزوج بعد؟
- لا
- حسنًا أخبره أنني أرفض

الجد غاضبًا: ولم هذا التسرع؟؟هل جلستي معه؟حتي تقرري

- لا أريد الجلوس مع احد
- يا ابنتي إنه شاب لا يعيبه شيء
- دعك منه الآن يا جدي فأنا أشعر بصداع شديد وأريد رؤية الطبيب يوسف فلدي الكثير من الأسئلة
- متأكدة أنك تريدين رؤيته لأنك تشعرين بالصداع؟؟
- وماذا سيكون غير هذا يا جدي؟
- اسمعي يا ابنتي، الشخص الذي يريدك لن تعيقه الأعذار، وإن غلقت كل الأبواب بوجهه فسيصنع بابًا ويدلف منه
- أخطأت الفهم يا جدي
- بل أنتي تخطئين التصرف.... قومي فتناولي فطورك

دخلت ليليان المطبخ بينما هاتف الجد يوسف وأخبره بطلب ليليان ورفضها لطلبه فأخبره يوسف بما عليه فعله وقام علي عجل وبدل ثيابه وذهب إلى المشفي وقد كان ينوي التأجيز.

أنهى الجد مكالمته واتت ليليان: هل أذهب يا جدي؟

- اذهبي ولكن لدي شرط

- وما هو؟
- ستجلسين الليلة مع يوسف

ليليان بحنق: يا ربي!! هل بيني وبين اليوسفيين عقد؟

- ما قولك؟؟

ليليان باشمئزاز: موافقة ولكن لا تحلم بقبولي

- سنري

وصلت ليليان إلى المكتب المنشود فدقت بابه ثم دخلت فأتاها صوت الطبيب مشيرًا إلي الكرسي: تفضلي...كيف حالك يا آنسة ليليان؟؟

شردت ليليان برهة: (آنسة!!!) ثم اجابته: بخير ولكن يلازمني الصداع من الأمس

- هذا طبيعي ولكن سأكتب لك بعض الأدوية وستتحسنين عند تناولها إن شاء الله

ليليان بنبرة لوم: هل أتممت تقاريرك الخاصة بحالتي؟؟

- نعم
- وماذا قال الناس عنك؟؟لا بد أنهم أعجبوا بنجاحك
- ربما
- لدي سؤال
- تفضلي
- هل تذكر ما مررنا به؟؟أقصد هيلاس وأجاكس وكاسندرا والبقية!!
- نعم أذكر
- كل شيء؟؟

- نعم... كان الأمر أشبه بحلم ولكن أذكر كل تفاصيله
- حسنًا، بالتوفيق وأتمنى لك ترقية جيدة
- أشكرك
- خطبتي ستكون بعد أيام، أتمنى أن لا تتأخر

يوسف محاولًا إخفاء ابتسامته: بالتأكيد ولكن هل وجدتي فارسك القياسي بهذه السرعة؟؟

- نعم وجدته
- وماذا يعمل؟
- طبيب
- وماذا عن قاعدتك في أختيار زوجك؟
- ألم تقل لي يومًا أن لكل قاعدة استثناء؟
- بلى، قلت
- وأنا استثنيت من هذه القاعدة طبيب واحد لا غير
- جارك؟
- نعم
- ألم يتزوج الشقراء؟
- لا
- على خير إن شاء الله وأتمنى لكما التوفيق

ليليان وقد همت بالذهاب: بعد إذنك

- تفضلي

خرجت ليليان والغيظ يملؤها من ردة فعله الباردة فعادت للحديث مع نفسها باكية: أعلم أن كل ما عشته كان وهمًا ولكن هل كل ما شعرت به كان وهمًا أيضًا؟؟.....رغم أنه لم يصرح بشيء إلا أنني كنت أشعر بحبه في بعض الأحيان... فهل كنت مخطئة عندما آمنت بأن هناك رسولًا بين القلوب

عادت ليليان إلى المنزل فنامت وعندما حل المساء قامت واستعادة نشاطها ثم جلست بجوار جدها: جدي!! هل تؤمن أن هناك رسول بين القلوب يخبرها بما لا تبوح به الألسن؟

- نعم
- وهل من الممكن أن يخطئ هذا الرسول؟
- اللسان يخطئ ويكذب والعقل يخطئ في تفسيراته وينكرها إن أراد، أما القلوب فلا.... ما تحويه يصل إلى أصحابه بصورة واضحة دون غش أو رياء، وأول ما يفصح عن خبايا القلب؛ العين فهي لا تعرف للكذب لغة ولهذا يتجنب النظر لعينيك اثنين؛ شخص يحبك ولا يريد الإفصاح عن حبه وشخص يكذب عليك ويخشي أن يكشف.

دق الجرس أثناء حديث ليليان مع جدها فقام: هيا قومي فبدلي ثيابك فلا بد أن الطارق يوسف

قامت ليليان على مضض فتوضئت وصلت ركعتين ناجت ربها فيهما بما تريد ولم تكتفي بهذا فرفعت كفيها للسماء وقالت: اللهم إني أمتك، قلبي بيديك تقلبه كيفما تشاء فلا تجعل به حبًا لسواك وانزع منه حبًا يهلكني

ويبعدني عن رضاك وأبدل مكانه حبًا لزوج إن ضللت طريقك علمني كيف ألقاك

انتهت ليليان من من تبديل ثيابها فخرجت من غرفتها لتجد جدها واقفًا وعلي وجهه ابتسامة حانية: هيا يا ليليان أدخلي وأنا قادم

تقدمت ليليان إلى الغرفة بخطوات مترددة ثم دخلت وهمت بإلقاء السلام لولًا أنها تفاجئت: أنت؟!!

- نعم أنا
- ما الذي أتى بك إلى هنا؟؟
- أهكذا تقابلين الضيوف؟ على كل حال أتيت لأطمئن على صداع رأسك

ليليان هامسة: والله لا صداع برأسي سواك... يارب أطلب نسيانه فأجده بمنزلي!!

- ماذا تقولين؟ ارفعي صوتك
- لا شيء، أقول أنني بخير فاطمئن
- هل ستظلين واقفة هكذا؟؟
- أيزعجك هذا!!؟
- نعم فأنا أود سماع جوابك وأنت جالسة
- أي جواب؟؟
- هل تستغرقين الكثير من الوقت حتي تستوعبي الأمور؟
- أي أمور

يوسف بملل: اللهم صبر أيوب حتى لا أجن

ليليان بغضب: ما الذي تهذي به؟

- لو أنني تزوجت الشقراء لكانت أذكى منك

ليليان بعدم تصديق: أنت.....

يوسف مقاطعًا لها: نعم أنا يوسف

- أعلم أنك يوسف، أقصد أنت..... هو؟؟

- نعم أنا هو الطبيب

ليليان بانفعال: أعلم أنك يوسف الطبيب... أقصد هل أنت..

يوسف مقاطعًا لها مرة أخرى: أنا الطبيب جارك الذي لم يتزوج الشقراء وأنا الطبيب الذي يعمل بالمشفي

- لا يعقل هذا

- ولم لا يعقل؟؟

- يعني أنك من تقدم لخطبتي قبل ذهابي إلى نادين؟

- نعم

- وهل خاطرت بحياتك حتى لا يقال عنك فاشل وحسب؟؟

- بل لأعيدك وحسب

- والآن أنت تريد سماع موافقتي؟

يوسف بملل: أتمنى!!

ليليان صارخة بانفعال: وهل كنت تقصدني عندما قلت أريد الزواج من بلهاء؟؟ولماذا لم تخبرني أنك يوسف منذ البداية؟؟

يوسف وقد بدي علي وجهه اليأس من حالها وقد هم بالوقوف: وهل أخبرتك أنني جرجس؟! بعد إذنك علي الذهاب.. فقد غيرت رأيي ولا أريد الزواج فأنا أود العيش بكامل قواي العقلية

في إحدى القاعات المتواضعة غير المتكلفة جلس يوسف بجوار مخطوبته بعد أن تم عقد القران وشهده جميع الأهل والأحبة

يوسف: ليليان!!

- نعم
- هل أخبرتك أنك أجمل من حسناء هيلاس والشقراء؟؟
- لا
- حسنًا سأخبرك فيما بعد
- يووووسف!!!!

كانت الساعة تدق العاشرة مساءً عندما استقبل قسم طوارئ المشفي الجامعي فتاة رأسها عالق بأقطاب جهاز سبقت رؤيته من قبل، فهو يصدر صوت مزعج يشبه صوت المونيتور عند توقف القلب عن النبض وله شاشة تشبه شاشة الحاسوب، فما كان من الأطباء إلا أن هاتفوا يوسف ليترك حفل خطبته ويأتي وبرفقته ليليان ترفع فستانها عن الأرض وهي تركض خلفه في طرقات المشفي.

وعندما وصلا إلى الغرفة المنشودة وجداها نائمة كالجثة الهامدة لا حول لها ولا قوة، فنظر يوسف إلى مؤشرات الجهاز: غريب!!

ليليان: ماذا؟؟

- المؤشرات ليست كما في السابق
- ما الذي تغير

- انظري، الخط اللازوردي يملئ الشاشة والمفترض أن يكونوا ثلاثة ألوان وليس واحد والمفترض أيضًا أنهم يبدأون من الصفر ثم يزداد طولهم أما هذا فاللازوردي وحسب ومكتمل أيضًا

ليليان وقد عاد على ذاكرتها كلمات ناديون: يوما ما سأري إن كان ظني بمخيلتك خاطئ أم لا: يوسف مكتوب أسفل هذالخط Download

- أي أنها الآن ...
- يوسف وليليان بصوت واحد: بهيلاس

تمت بحمد الله